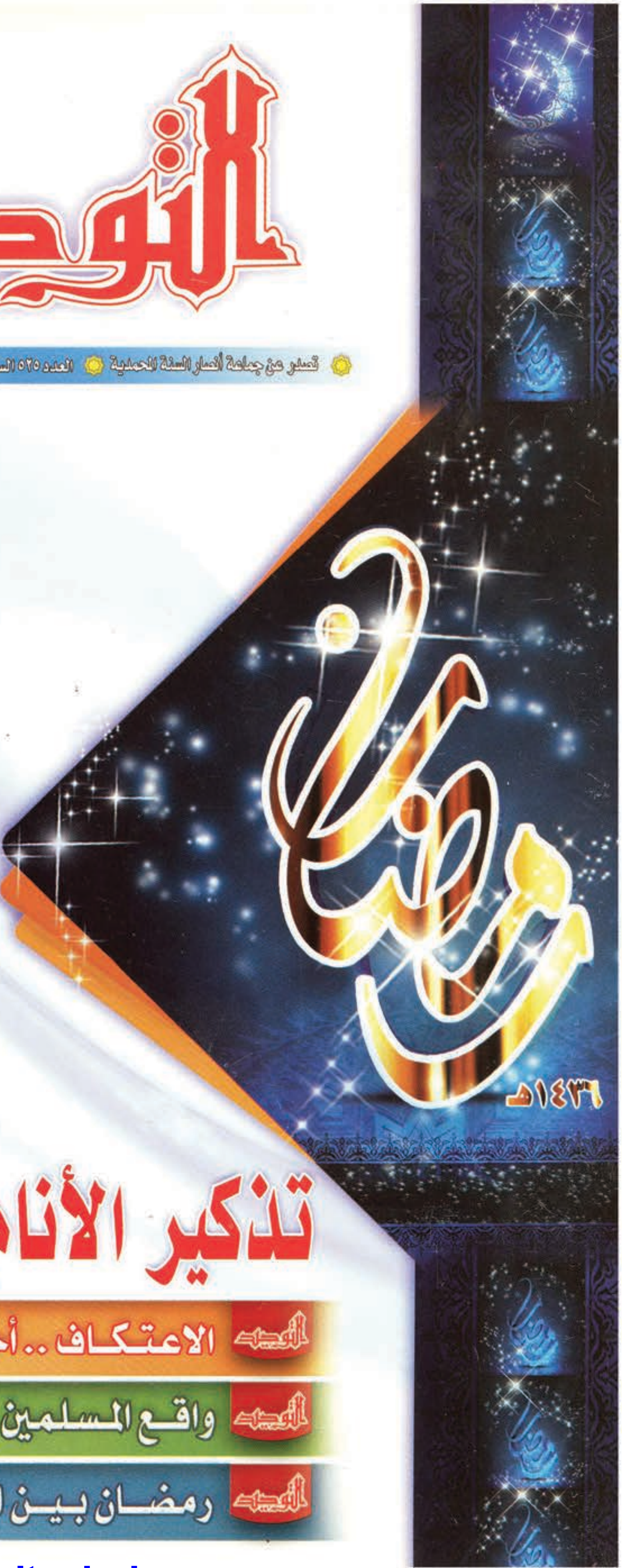
عدد خاص

التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية — العدد ٥٢٥ السنة الرابعة والأربعون - رمضان ١٤٣٦ هـ — الثمن جنيهان

مسلمو بورما في رمضان.. بين الغفلة والنسيان !!

من معالم البركة في شهر الصيام



تذكير الأنام بفضل الصيام

- التوحيد: الاعتكاف .. أحكام وآداب
- التوحيد: واقع المسلمين وكيفية تغييره
- التوحيد: رمضان بين العادة والعبادة

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق

التحرير
٨ شارع قولة عابدين . القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي:
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

السلام عليكم

راحة الأنام .. في شهر الصيام

ربما يَتَّسم رمضان هذا العام بحرارة جوه، وطول نهاره، فصوموا يومًا طويلاً حَرّه؛ للنجاة من طول يوم النشور، وصلُّوا في ظلمة الليل؛ للنجاة من ظلمة القبور، ولا تركنوا للراحة في الدنيا؛ لتستريحوا أبد الدهور.

كان الأصمعي- وهو أحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، وُلِد بالبصرة ومات بها-، يقول: دخل عليَّ شهر رمضان وأنا بمكة (الحارة)، فخرجتُ إلى الطائف (الباردة) لأصوم بها؛ هربًا من حر مكة، فلقيني أعرابي فقلت له: أين تريد؟ فقال: أريد هذا البلد الحرام المبارك لأصوم فيه هذا الشهر المبارك، فقلتُ: أما تخاف الحرَ؟ فقال: من الحر أَفرُّ. يعني يلجأ إلى تَحَمُّل حرارة مكة ليتذكر: «قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا» (التوبة: ٨١)، فيتعظ ويفر من نار جهنم!

وهذا كلام شبيه بكلام الربيع بن خثيم «رحمه الله» حين رآه رجل قد صلى ليلةً حتى أصبح، فقال له: أتْعَبْتَ نفسك، فقال: بل راحَتَها أطلب.

فمن أراد الراحة ترك الراحة.

التحرير

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي



في هذا العدد

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٤٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد. أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

تذكير الأنام بفضل الصيام

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان واقتفى إلى يوم الدين. وبعدُ؛

فإن الصيام- وهو ركن من أركان الإسلام- له مكانة عظيمة، ومنزلة رفيعة، ولله فيه منح جليلة، وعطايا كثيرة، تحتاج من العبد الحرص عليها، والتعرض لها، لعله يكون من الفائزين في هذا الشهر الكريم، وبمناسبة حلول شهر رمضان أحببت أن أجمع ما تيسر لي من الأحاديث النبوية التي فيها وعد من الكريم الرحيم بتكفير الذنوب والآثام، لمن صام لربه وقام؛ تذكرةً لنفسي ولإخواني الكرام، ولن يقتصر حديثي على صيام رمضان فحسب، بل سأذكر- إن شاء الله- كل فضل ورد في الصيام على مدار العام.

فأقول وبالله تعالى التوفيق:

إن من فضل الله وكرمه بعباده أن جعل صيام شهر رمضان مكفِّرًا للذنوب والآثام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه». (البخاري: ١٩٠١).

والمراد بقوله: «إيمانًا» يعني: الإيمان الجازم بفرضية صومه، وبالاحتساب: طلب الثواب من الله تعالى، قال الخطابي: «احتسابًا: أي: عزيمة، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه، طيبة نفسه بذلك غير مستثقل لصيامه، ولا مستطيل لأيامه». (فتح الباري ٤/١١٥).

وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم على غفران ذنب من صام بالشروط الواردة في الحديث الشريف، كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن صيام رمضان مكفِّر للذنوب والآثام كالصلوات الخمس، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر». (مسلم: ٢٣٣).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «من صام رمضان، وصلى الصلاة، وحج البيت- لا أدري أذكر الزكاة أم لا- إلا كان حقًّا على الله أن يغفر له إن هاجر في سبيل الله أو مكث بأرضه التي وُلد بها». قال معاذ: ألا أخبر بها الناس؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذر الناس يعملون، فإن في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلى الجنة وأوسطها وفوق ذلك عرش الرحمن، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس». (صحيح سنن

الترمذي ٢/٣١٢).

وقد أفاد الحديث أن من أتى بما ذكر فيه كان حقًا على الله- تفضلاً منه- أن يغفر ذنبه، وفي الحديث بشرى للقائمين بذلك ألا وهي الجنة، بل الفردوس الأعلى لمن شاء الله له ذلك، بعد مغفرة الذنب، والفردوس أعلى الجنان، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس». تعليم لراغبي الآخرة بالسعي والعمل وطلب أعلى المنازل والدرجات، وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله بابًا في كتاب الصوم، قال فيه: «باب الصوم كفارة»، ومعناه: باب تكفير الصوم للذنوب، ثم ساق تحته حديث حذيفة، وفيه: قال عمر رضي الله عنه: من يحفظ حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الفتنة؟ قال حذيفة: أنا سمعته يقول: فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة. (البخاري: ٤/١١٠).

والصيام حصن حصين من النار، ويمنع صاحبه من الوقوع في الخطايا والآثام، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصيام جُنة، فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤٌ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم، مرتين». (البخاري: ١٨٩٤، ومسلم: ١١٥١).

وقال النووي: «الصيام جُنة». وهو بضم الجيم ومعناه: سترة ومانع من الرفث والآثام، ومانع أيضًا من النار. (شرح النووي على مسلم: ٨/٣٠).

وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم في صيام التطوع وبين ما له من فضل عظيم ، وإليك أيها القارئ الكريم الأيام التي يُستحب صيامها، وما ورد فيها من عظيم الأجر، وتكفير الذنب، ومن ذلك:

١- صيام الستة من شوال: لحديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من صام رمضان، ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر». (مسلم: ١١٦٤)، وإنما كان ذلك كصيام الدهر؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، وعلى هذا فرمضان بعشرة أشهر، والستة بشهرين.

٢- صيام العشر الأول من ذي الحجة: والمراد تسعة أيام، كما في الحديث عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم تسعة من ذي الحجة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر: أول اثنين من الشهر وخميسين». (صحيح سنن أبي داود: ٢/٢٩). وجاء من وجوه أنها الأيام البيض.

الصيام حصن حصين من النار؛ ويمنع صاحبه من الوقوع في الخطايا والآثام.

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه. قالوا: ولا الجهاد؟ قال: ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء». (البخاري: ٩٦٩).

والصيام من العمل الصالح، فيدخل فيه.

٣- يتأكد صيام يوم عرفة لغير الحاج، كما في حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده»، وفي رواية: «يكفر السنة الماضية والباقية». (مسلم: ١١٦٢).

وقد ذكر ابن حجر أن الجمهور على استحباب فطر هذا اليوم للحجاج. (انظر: فتح الباري ٤/٢٣٨).

٤- ومن الأيام التي يُستحب صيامها شهر الله المحرم: لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل: أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ وأي الصيام

أفضل بعد شهر رمضان؟ فقال: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة: الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم». (مسلم: ١١٦٣).

٥- ويوم عاشوراء منه أفضل من غيره، لأنه يكفّر السنة التي قبله، كما في حديث أبي قتادة الأنصاري: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم عاشوراء، فقال: «يكفر السنة الماضية». (مسلم: ١١٦٢)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم، يوم عاشوراء وهذا الشهر- يعني شهر رمضان». (البخاري: ٢٠٠٦).

٦- ويستحب صيام التاسع مع العاشر: لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإذا كان العام المقبل- إن شاء الله- صمنا اليوم التاسع». قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الشافعي وأصحابه وأحمد وإسحاق وآخرون: يستحب صوم التاسع والعاشر جميعًا، لأن النبي صلى الله عليه وسلم صام العاشر ونوى صيام التاسع. (انظر: شرح النووي على مسلم ج٨/١٢).

٧- كما يستحب صيام أكثر شهر شعبان؛ لفعل النبي صلى الله عليه وسلم لذلك، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم»، وهذا يدل على أنه كان يصوم تطوعًا في شعبان أكثر من غيره، ويحمل ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم بأنه كان يصوم شعبان كله، أو أنه كان يصله برمضان على ذلك، أعني من كثرة الصيام في شعبان، ونقل الترمذي عن ابن المبارك أنه قال: جائز في كلام العرب إذا صام أكثر الشهر أن يقول: صام الشهر كله، ويقال: قام فلان ليلته أجمع، ولعله قد تعشى واشتغل ببعض أمره. (انظر: فتح الباري ٢١٤/٤).

ذكر ابن حجر أن الجمهور على استحباب فطر يوم عرفة للحجاج.

وقد دلّ حديث عائشة السابق على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصم شهراً كاملاً إلا رمضان؛ ويؤكد ذلك أيضًا حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «ما صام النبي صلى الله عليه وسلم؛ شهرًا كاملاً قط غير رمضان». (البخاري: ١٩٧١).

والعلة في كثرة صيام النبي صلى الله عليه وسلم في شهر شعبان، غفلة الناس عنه، وقد رجّح ذلك الحافظ ابن حجر، وذكر الحديث الذي أخرجه النسائي وأبو داود وصححه ابن خزيمة عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قلت: "يا رسول الله، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم. (فتح الباري ٢١٥/٤).

٨- كما رغّب النبي صلى الله عليه وسلم في صيام يومي الاثنين والخميس، قالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم الاثنين والخميس. (أخرجه ابن ماجة والترمذي بسند صحيح، وانظر: صحيح الترمذي ٢٢٦/١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يُعرض عملي وأنا

> نقل الترمذي عن ابن المبارك أنه قال: جائز في كلام العرب إذا صام أكثر الشهر أن يقول: صام الشهر كله ؛ ويقال: قام فلان ليلته أجمع ؛ ولعله قد تعشى واشتغل ببعض أمره.

صائم». (المرجع السابق ١/٢٢٧).

وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تُعرض أعمال الناس في كل يوم جمعة مرتين، يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكل عبد مؤمن، إلا عبدًا بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اتركوا، أو اركوا هذين حتى يفيئا». (مسلم: ٢٥٦٥).

ومعنى: «اركوا» أي: أخروا. ومعنى: يفيئا. أي: يرجعا إلى الصلح والمودة. (شرح النووي على مسلم ١٦/١٢٢).

٩- كما يستحب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، ورجح بعض الأئمة أنها الأيام البيض، وقد عقد البخاري رحمه الله بابًا قال فيه: باب صيام البيض ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة، ثم ساق حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه يقول: «أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام». (البخاري: ١٩٨١).

وسميت بالبيض: لابيضاض لياليها بالقمر، وللنسائي من حديث جرير مرفوعًا: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر: أيام البيض...». الحديث. قال ابن حجر: إسناده صحيح، وقد ورد في مسلم "صيام ثلاثة أيام من كل شهر" بإطلاقه كما في حديث عائشة برقم (١١٦٠)، ولا يعارض ما سبق، قال ابن حجر معلقًا على ذلك: «كل من رآه صلى الله عليه وسلم فعل نوعًا ذكره، وعائشة رأت جميع ذلك وغيره فأطلقت، والذي يظهر أن الذي أمر به وحث عليه ووصى به أولى من غيره، وأما هو فلعله كان يعرض له ما يشغله عن مراعاة ذلك، أو كان يفعل ذلك لبيان الجواز، وكل ذلك في حقه أفضل، وتترجح البيض بكونها وسط الشهر، ووسط الشيء أعدله». (فتح الباري ٤/٢٢٧).

١٠- ولأهمية الصيام في تكفير الآثام ورفع الدرجات فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يخلي شهرًا من صوم، وقد عقد مسلم في صحيحه بابًا قال فيه: «باب صيام النبي صلى الله عليه وسلم في غير رمضان، واستحباب ألا يخلي شهرًا عن صوم». ثم ساق تحته أحاديث منها حديث عبد الله بن شفيق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: «أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم شهرًا كله؟ قالت: ما علمته صام شهرًا كله إلا رمضان، ولا أفطره كله حتى يصوم منه حتى مضى لسبيله». (مسلم: ١١٥٦). قال النووي: «فيه استحباب ألا يخلي شهرًا من صيام». (شرح النووي على مسلم: ٨/٣٧).

وقال ابن القيم: «ولم يكن يخرج عنه شهر حتى يصوم منه». (زاد المعاد ٢/٥٣).

١١- وأحب الصيام إلى الله بإطلاق: صيام داود عليه السلام، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا». (البخاري: ٣٤٢٠)، وهو أعدل الصيام وأفضله كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «صم يومًا وأفطر يومًا، وذلك صيام داود عليه السلام، وهو أعدل الصيام». قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا أفضل من ذلك». (مسلم: ١١٥٩).

نسأل الله أن يتقبل منا الصيام والقيام، وأن يحسن لنا الختام أجمعين،

والحمد لله رب العالمين.

مسلمو بورما في رمضان.. بين الغفلة والنسيان!!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله الذي جعل قوة هذه الأمة في إيمانها، وعزها في إسلامها، فاضل بين الأيام والشهور، وجعل شهر رمضان محببًا للقلوب.

وبعد:

نستقبل شهر رمضان ويطوف بنا طائف العام بأيامه ولياليه، وإشراقاته وأماسيه، وانتصاراته ومآسيه، وحسناته ومساويه، وقد علق في النفس منها أوزار وانكسارات، وفتور وانتكاسات، تثقل العبد في سيره إلى الله، ويستطيل لأجلها السبيل إلى موعود الله، فمنح الله سبحانه عباده شهرًا كريمًا وموسمًا عظيمًا، تصفى فيه النفوس، وتداوى فيها الجروح.

ومآسي أمتنا كثيرة، وجراحاتها مؤلمة غائرة، ومعاناة المسلمين وجراحاتهم تئن الجبال من حملها، وما ذاك إلا مصداقًا لما ذكره نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم يوم قال: «يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ». (أخرجه أبو داود: ٤٢٩٧).

نستقبل رمضان ومما يأسف له الخاطر، ويألم له القلب، أن يتكالب أعداء المسلمين عليهم، ويتواطئوا على قتلهم وتشريدهم واضطهادهم وظلمهم، وفي المسلمين كثر لا يعرفون شيئًا عن تلك المآسي والأحداث الدامية، وها هو شعب مسلم بأكمله في «أراكان» يعاني أشد أنواع التعذيب والقتل والطرد والتهجير في إقليم «أراكان»، أحد ممالك المسلمين التي احتلها البوذيون، وضموها إلى بورما منذ أكثر من ستين عامًا، وضموها إلى دولة ميانمار، دون أن يحرك العالم ساكنًا؛ لأن المضطهدين من المسلمين لا حول لهم ولا قوة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(٢٢٨) عامًا من الاضطهاد والتنكيل لمسلمي بورما

يأتي رمضان هذا العام ربما ليذكرنا بعد مرور ٢٢٨ عامًا ونحن في صمم، وعلى أعيننا غشاوة، بل ران على قلوبنا ما كنا نكسب، وخرست ألسنتنا حتى عن الدعاء لهم، إنهم ضحية لحال أمة قعدت وخارت وضعفت، هانت على نفسها فهانت على الناس.

إن مسلمي بورما يتوارثون العذاب جيلاً بعد جيل، وتحولت أرضهم إلى أخدود من الجحيم الذي لم تنطفئ ناره منذ ٢٢٨ عامًا.

وأنى لها أن تخبو ووقودها أجيال متتابعة من المحروقين، ومشعلوها جبابرة حاقدون لا يكلون ولا يملون، وأنى لها أن تخبو والأمة الإسلامية في جفاف لا ماء لها.. وأرضها بور لا زرع فيها.. ومأساة مسلمي بورما من أشهر المآسي على مر العصور.

ففي عام ١٨٢٤م احتلت بريطانيا بورما، وضمتها إلى حكومة الهند البريطانية الاستعمارية، وفي عام ١٩٣٧م، جعلت بريطانيا بورما مع «أراكان» مستعمرة

مستقلة عن حكومة الهند البريطانية الاستعمارية كباقي مستعمراتها في الإمبراطورية آنذاك، وعرفت بحكومة بورما.

ويختلف سكان بورما من حيث التركيب العرقي واللغوي بسبب تعدد العناصر المكونة للدولة، ويتحدث أغلب سكانها اللغة البورمانية، ويطلق على هؤلاء «البورمان»، وباقي السكان يتحدثون لغات متعددة، ومن بين الجماعات المتعددة جماعات «الأراكــان»، ويعيشون في القسم الجنوبي من مرتفعات أراكان بورما، وجماعات الكاشين، وينتشر الإسلام بين هذه الجماعات.

وترجع الأصول العرقية لسكان بورما الحاليين إلى العناصر المغولية التي هاجرت إلى البلاد منذ آلاف السنين، وقد اختلطت تلك العناصر بمجموعات عرقية أخرى، منها الإندونيسية والهندية.

وتحد بورما من الشمال الشرقي الصين، وتحدها الهند وبنجلادش من الشمال الغربي.

وتشترك حدود بورما مع كل من لاوس وتايلندا، أما حدودها الجنوبية فسواحل تطل على خليج البنغال والمحيط الهندي.

ويقدر سكان بورما حسب تقديرات المنظمات الدولية والأمم المتحدة بحوالي خمسين مليون نسمة، وتبلغ مساحتها ٦٨٠ ألف كم٢.

ويوجد في بورما عدة ديانات، ولكن أكثر سكانها يعتنقون البوذية، وأقلية يعتنقون الإسلام، وهم يتمركزون في الشمال على حدود الهند، ويصل عدد المسلمين إلى حوالي عشرة ملايين نسمة، أي حوالي ٢٠٪ من سكان بورما، ويتركز معظمهم في إقليم أراكان الذي احتله البورميون عام ١٧٨٤م.

وقد دخل الإسلام إلى بورما في القرن الثاني الهجري عام ١٧٢هـ، الثامن الميلادي عام ٧٨٨م عن طريق التجار العرب الذين وصلوا ميناء أكياب عاصمة «أراكــان» في عهد الخليفة هارون الرشيد، رحمه الله، فانتشر الإسلام في أرجائها، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، فرحين مستبشرين بهذا الدين العظيم الذي أخرجهم من ظلمات الجهل والكفر، إلى نور الإسلام والإيمان، إلى أن قامت دولة إسلامية عريقة على يد السلطان سليمان شاه، واستمرت قرابة ثلاثة قرون ونصف تقريبًا من عام ١٤٣٠ إلى عام ١٧٨٤، تولى حكمها ثمانية وأربعون ملكًا مسلمًا على التوالي، وآخرهم الملك سليم شاه، الذي امتدت رقعة مملكة أراكان في عهده حتى شملت بعض الدول المجاورة.

أراكان والتاريخ الإسلامي

وتقع أراكــان جنوب غرب بورما على الحــدود مع بنجلاديش، وتبلغ مساحتها ٢٠ ألف ميل مربع، ويحدها غربًا خليج البنغال الذي يسمى تاريخيًا بـ «بحيرة العرب»، ثم غُيِّر اسمه، ويحدها شمالاً بنجلاديش، وذلك على طوال ١٧١ ميلاً، ومن الشرق جبال الأراكـان التي تعتبر حدًا فاصلاً بين أراكـان وبورما الدولة الغازية، ويصل عدد سكان أراكان إلى ٤ ملايين نسمة، منهم ٧٠٪ من المسلمين.

ويطلق على سكان أراكان «الروهينجا»، وهي مأخوذة من «روهـانج»، وهو الاسم القديم لأراكـان، وتعرف الأراكيون على الإسلام في القرن الأول من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك مع مجيء التجار العرب المسلمين إلى هذه البلاد، وكان لهؤلاء التجار الفضل الأكبر بعد الله عز وجل في نشر الإسلام.

وذكرت الروايات أن التجار العرب كانوا يمرون بأراكان حتى قبل الإسلام؛ لأنها طريق تجارتهم، وبدأت علاقات العرب مع بعض السكان المحليين منذ تلك الفترة.

وفي القرن الرابع عشر وحتى التاسع عشر بدأت قوميات أخرى غير العرب بالوفود إلى أراكان، مثل البنغال والفرس والمغول والمغاربة، وبهذا الاختلاط اعتنق الأراكيون الإسلام، حتى غدا الإسلام دين الأغلبية في القرن الخامس عشر الميلادي، وعشية الاستقلال، وعندما حاولت الحكومة البوذية الجديدة تعيين الـوزراء ضمت وزيـرًا من المسلمين إليها، وقامت بتعيين ١٢ عضوًا مسلمًا في البرلمان، فظن المسلمون أن هذا يعني فتح صفحة جديدة بعيدة عن الاضطهاد، ولكن سرعان ما تلاشى الأمل، لتجاهل الرئيس البوذي لحقوق المسلمين، حيث أعلنوا أن اسم بورما مشتق من «بـوذا»، وبالتالي فهي للبوذيين فقط، وعلى المسلمين إن أرادوا البقاء معهم أن يغيروا حروف القرآن الكريم إلى الحروف البورمية، وأن يتبادل المسلمون والبوذيون الزواج، وأن يقوم المسلمون بالتسمي بأسماء بوذية، وترفع النساء حجابهن الشرعي، فهم قد أرادوا بخبث ماكر تذويب شخصية المسلم هناك!!

معاناة مسلمي بورما عبر السنين

وقد كانت بداية معاناة مسلمي بورما على أيدي المستعمرين في القرن الرابع عشر الميلادي، وفي عام ١٧٨٤م بدأت قصة الظلم والاضطهاد على أشده، حينما احتل الملك البوذي «بودباية» أراكان وضمها إلى بورما خوفا من انتشار الإسلام في المنطقة، وعاث في الأرض فسادًا.

ومن هنا

بدأت معاناة شعب كامل من المسلمين، ضاعت فصولها وسط جراحات الأمة المتتالية، وقد دمر البوذيون كثيرًا من الآثار الإسلامية من مساجد ومدارس، وقتل للعلماء والدعاة، وإطلاق العنان للبوذيين في اضطهاد المسلمين، ونهب خيراتهم، فساموا أهلها سوء العذاب، وأنزلوا عليهم أقصى أنواع الظلم والقسوة، وتم تسوية كل ما يخص الإسلام من حضارة أو أثر بالأرض، وأحرقت منازل المسلمين ومزارعهم، وأسر منهم واستخدموا كعبيد وأرقاء سُخروا لأعمالهم من بناء المعابد وحرث الأرض.

واستمرت المعاناة إلى أن أتى الاستعمار البريطاني عام ١٨٢٤، وضمها إلى حكومة الهند البريطانية لمدة مائة عام، ثم في عام ١٩٣٧م جعلت بريطانيا بورما مع أراكان مستعمرة مستقلة عن حكومة الهند البريطانية الاستعمارية، كباقي مستعمراتها في الإمبراطورية آنذاك، وعرفت بحكومة بورما البريطانية.

وفي عام ١٩٤٢ تعرض المسلمون لمذبحة وحشية كبرى من قبل البوذيين «الماغ» بعد حصولهم على الأسلحة والإمدادات من قبل البوذيين البورمان والمستعمرين البريطانيين وغيرهم، والتي راح ضحيتها أكثر من مائة ألف مسلم، أغلبهم من النساء والشيوخ والأطفال، وشرد مئات الآلاف خارج وطنهم.

أما حملات التهجير الجماعي والتشريد إلى المصير المجهول فيصل عددها إلى ٦ حمَلات منظمة بدأت من عام ١٩٦٢ وحتى عام ١٩٩١م، شُرد من خلالها قرابة مليون مسلم خارج وطنهم، واستمر الاضطهاد والظلم وإلغاء الحقوق والمواطنة تدريجيًا إلى يومنا هذا.

أما عن التطهير العرقي والديني والإبادة الجماعية للمسلمين، فهي مستمرة ولم تنقطع، في ظل عُزلة الإقليم عن العالم، إضافة إلى أن جميع حكام المناطق التابعة للإقليم من البوذيين، ويكفي للتدليل على ذلك أنه بعد وصول الحكم العسكري عام ١٩٦٢م، وفي عام ١٩٧٨م شردت بورما أكثر من ثلاثمائة ألف مسلم إلى بنجلاديش، وفي عام ١٩٨٢ ألغت جنسية المسلمين بدعوى أنهم متوطنون في بورما بعد عام ١٨٢٤.

وفي عام ١٩٩١م شردت بورما حوالي ثلاثمائة ألف مسلم إلى بنجلاديش مرة أخرى.

صور الظلم والعنصرية ضد مسلمي بورما

١- إلغاء جنسية المسلمين في أراكان بموجب قانون المواطنة والجنسية الذي وضع عام ١٩٨٢م.

٢- اعتقال المسلمين وتعذيبهم في المعتقلات بشكل وحشي.

٣- حرمان المسلمين من حرية السفر والتنقل داخل البلاد وخارجها، ومنعهم من حضور أي مؤتمرات إسلامية تنعقد في أي مكان في العالم.

٤- إجبار المسلمين على القيام بأعمال السخرة دون أجر؛ كتعبيد الطرق، وحفر الخنادق في المناطق الجبلية البورمية.

٥- مصادرة أوقاف المسلمين، ومصادرة أراضيهم الزراعية.

٦- تهجير المسلمين وتشريدهم وتوطين البوذيين محلهم.

٧- سد أبواب الوظائف الحكومية أمام مسلمي أراكان.

٨- إقامة العقبات والعوائق أمام تعليم أبناء المسلمين في المدارس والجامعات الحكومية.

٩- عدم السماح للمسلمين بالمشاركة في الندوات والمؤتمرات الإسلامية العالمية.

فهذه أراكان وبورما كلما انتهت موجة إبادة، تلتها موجة أخرى، وتلك بلاد تتكالب عليها قوى الشر والنفاق، وفي هذه الأيام يشتد البأس على مسلمي بورما، وللأسف لم يع المسلمون ذلك بعد، أو لا يُراد لهم أن يعوا أن العداء ديني عقدي!!

وحتى هذه اللحظة فإن الأقلية المسلمة في أراكان ما زالت تواجه أعتى أنظمة الظلم والطغيان والتمييز الديني والعرقي في تلك المنطقة، وسط تغييب متعمد من قبل السلطان البوذية لهذه الجرائم والانتهاكات البشعة، ومنع وسائل الإعلام من تغطية تلك الأحداث، وغدت دماء المسلمين أرخص شيء في العالم، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لئن تهدم الكعبة حجرًا حجرًا، أهون على الله من أن يُراق دم امرئ مسلم». وفي رواية: «لزوال الدنيا أهون على من قتل رجل مسلم». (رواه الترمذي والنسائي، وحسنه الألباني).

وبالرغم من غلاء دم المسلم؛ فإن المجازر مازالت تقام للمسلمين في كل مكان، وأصبح الدم المسلم رخيصًا لا يُقام لإراقته وزن!!

الروهينجا والنفاق الدولي

نستقبل شهر رمضان وعلنا يكون لنا وقفة مع النفس في صفاء الصائمين، فينظرون حولهم قبل فوات الأوان، قبل العرض على الملك الديان، فيسألهم عما قصروا في حق إخوة لهم يجوعون وفي الخلاء سائحون، وفي البحار هائمون، سابحون عكس التيار يبحثون عن مأوى لهم، بعد أن ضاق بهم الحال، دون أن يهتم بهم أحد، أو يمد لهم يد المعاونة، فالصورة مؤلمة؛ الآلاف منهم في البحر على مراكب متهالكة تتقاذفهم الأمواج، يبحثون عمن يقبلهم، دون جدوى.. فهل يذكرنا رمضان بحال إخواننا؟!

وإنه لعجيب أمر هذا العالم من حولنا الذي يَشْبَعُ من كل شيء إلا من دم المسلمين، ولا يطيب له راحة بال ولا يهدأ له واقع إلا إذا ارتوى من دم الإنسان المسلم، فتجده يتلذذ به، فلا نجد نجدة ولا نخوة، ولا ضمير إنساني يستفيق ليجعل حدًا لما يقع للمسلمين جميعًا.

فأين الضمير الإنساني؟ وأين حق الإنسان في العيش؟ وأين مكان الإنسان من هذا الوجود؟!

أين العالم الذي يهرع لنجدة حوت عالق في المحيط القطبي قبل هلاكه، ويسد أذنيه عن أنات وصيحات الآلاف العالقين في البحار يكابدون أهوالها؟!

في حين تعقد أمريكا الصفقات التجارية مع عسكر بورما، ويزور أوباما بلادهم متجاهلاً ما يتعرض له الروهجينا هناك!!

نحن أمام فصل جديد من فصول النفاق العالمي الذي تخصص قادته في ممارسة هذا النفاق حصريًا على المسلمين وحدهم، عندما يكونون هم الضحية، نفاق لم ولن يتوقف ما دام العالم الإسلامي ممزقًا ومشرذمًا ومنقسمًا على نفسه.

فأزمة الروهينجا ليست أزمة محلية أو إقليمية، بل هي أزمة عابرة للقارات والحدود والثقافات والحضارات، إنها إحدى أسوأ تجليات فزاعة كراهية الإسلام، وهي جزء من حرب أيديولوجية عالمية توظف الإسلامو فوبيا المتنامية حول العالم، والتي تضيف كل جماعة سياسية أو أمة شيئًا من أوهامها، ومصالحها عليها، بحيث تهدم أركان الإنسانية، وتجعل من المسلمين ضحية افتراضية جاهزة لأي إشكال سياسي في العالم.

وخلال الشهور القليلة الماضية، تتابعت الأحداث بشكل لافت فيما يتعلق بقضية الروهينجا المسلمين، وما يقع عليهم من انتهاكات تجاوزت حدود موطنهم الأصلي في ميانمار، إلى الدول التي يفرون إليها لاجئين ومنها (تايلند، وبنجلاديش، والفلبين، وماليزيا).

وقد بلغت المأساة قمة ذروتها في مشهد محزن يخجل منه كل من ينتسب إلى الإسلام، ويخجل منه العالم أجمع، عندما تقاتل راكبو سفينة تقل مئات المضطهدين من الروهجينا والذين انقطعت بهم السبل في بحر أندمان، بعد أن رفضت دول الجوار استقبالهم في نذالة وانحطاط بشري غير مسبوق، تقاتلوا على بقية ما بقي من طعام وشراب قليل معهم، وانتهت المعركة بـ ١٠٠ قتيل معظمهم من النساء والأطفال، لتكون هذه الدماء الأرواح البريئة شاهدة ولاعنة لهذا العالم المنافق الذي يكتفي بإدانات باهتة، وبيانات عقيمة تحول الضحايا في تلك المعركة إلى ضحايا للضحايا، مما كشف مأساة الإنسان الذي لم يعد لديه غير أن يلقى الموت أو يشارك مرغمًا في قتل أخيه الإنسان بداعي الحاجة البشرية الماسّة للغداء والماء والدفاع عن أطفاله.

والأمم المتحدة والهيئات الدولية تشارك في عملية الاضطهاد والإبادة، فهي توفر الغطاء السياسي لجرائم حكومة العسكر في بورما بصمتها وسلبيتها، بل بأكثر من ذلك، فكانت مشاركة الأمم المتحدة تكريسًا للاضطهاد ضد مسلمي الروهينجا.

أما أمريكا وأوروبا فكلاهما محور الشر الحقيقي الذي يقود ويدعم ويساند أي اضطهاد للإسلام والمسلمين.

خاب وخسر من أدرك رمضان ولم يُغفر له، فهل يكون رمضان مصدر تذكر للمسلمين عمومًا، وأهل المصائب خصوصًا بالتضرع واللجوء إلى الله جل وعلا، وربنا سبحانه يحبُ أن نلجأ إليه في كل الأحوال وخاصة عند الضراء والبلوى: «أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ» (النمل: ٦٢).

واعلموا وتيقنوا أن كل ما يقضيه الله تعالى ويقدره فيه خير ومصلحة وحكمة، ولو كان ظاهره شرًا، يقول الله تعالى: «وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» (غافر: ٢٠).

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الاستفتاح: «والخير كله بيديك، والشر ليس إليك».

فاللهم هيئ لهذه الأمة أمرًا رشدًا يعز فيه أهل طاعتك، ويهدى فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بسوء فأشغله بنفسه ورد كيده في نحره، واجعل دائرة السوء عليهم يا رب العالمين.

بشرى بمناسبة الشهر الكريم

تعلن جماعة أنصار السنة المحمدية عن بدء الدورات العلمية في القرآن الكريم؛ لمنح الإجازات العلمية في القرآن وعلومه.

للاستفسار/ إدارة مجلة التوحيد.

التَّقْوَى وَثَمَرَاتُهَا الْعَاجِلَةُ وَالآجِلَةُ

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

قال تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (البقرة: ١٨٣).

هكذا جعَلَ الله تعالى للصِّيامَ غايةً يتطلَّعُ الصَّائمُونَ إلى تحقيقها، وتلك الغايةُ هي التَّقْوى، وهُمْ يعلمُونَ مقامَ التَّقْوى عند الله ووزْنَهَا في ميزانه، فهيَ غايةٌ تتطلَّعُ إليها أرواحُهُمْ، وهذا الصَّوْمُ أداةٌ من أدواتها، وطريقٌ مُوصِّلٌ إليها، ومن ثمَّ يرْفعُها السِّياقُ أمامَ عيُونهمْ هدفًا وضيئًا يتَّجِهُونَ إليه عنْ طريق الصِّيام (في ظلال القرآن(١/٢٣٩))، فإنَّ الصِّيامَ منْ أكبر أسباب التَّقْوى، لأنَّ فيه امْتثالَ أمْر الله واجْتنابَ نَهْيه.

ومِمَّا اشْتمَلَ عليه الصِّيامُ من التَّقْوى:

أنَّ الصَّائمَ يتْرُكُ ما حرَّمَ اللهُ عليه منَ الأكْل والشُّرْب والجِماع، مُتقرِّبًا بذلكَ إلى الله، راجيًا بتَركها ثوابَهُ.

ومنْها: أنَّ الصَّائمَ يُدرِّبُ نفْسَهُ على مُراقبة الله تعالى فيتْرُكُ ما تهْوى نفْسُهُ مع قُدْرته عليْه، لعلْمه باطِّلاع الله عليْه.

ومنْها: أنَّ الصِّيامَ يُضيِّقُ مجاري الشَّيْطان فإنَّهُ يجْري من ابْن آدم مجْرى الدَّم، فبالصِّيام يضْعُفُ نُفُوذُهُ، وتقلُّ المعاصي.

ومنْها: أنَّ الصَّائمَ في الغالب تكْثُرُ طاعاتُهُ، والطَّاعاتُ منْ خصال التَّقْوى.

ومنْها: أنَّ الغنيَّ إذا ذاقَ ألمَ الجُوع أوْجبَ لهُ ذلكَ مُواساةَ الفُقراء المُعْدمينَ، وهذا منْ خصال التَّقْوى. (تيسير الكريم الرحمن(١/٢٢١)).

والَّذي يتتبَّعُ آياتِ القُرآن الكريم يرى أنَّ الله تعالى جعَلَ التَّقْوى سببَ خيْري الدُّنْيا والآخرة:

فالرِّزْقُ الكثيرُ المُبارَكُ سببُهُ التَّقْوى، قال تعالى: « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ »(الأعراف:٩٦)، وقال تعالى: « وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا »(الطلاق:٢).

وتيْسيرُ الأمُور وتسْهيلُها سببُهُ التَّقْوى، قال تعالى: « وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا »(الطلاق:٤)، وقال تعالى: « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ »(الليل:٥-١٠).

والخُرُوجُ منَ الأزَمات وتفْريجُ الكُرُبات



سَبَبُهُ التَّقوى، قال تعالى:«وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا »(الطلاق:٢).

وتنويرُ القلوب ومغفرةُ الذنوب سببُه التَّقوى، قَالَ تَعَالَى:« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ »(الحديد:٢٨)، وَقَالَ تَعَالَى:« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ »(الأنفال:٢٩).

وَمَحبَّةُ الله لعَبْده سَبَبُهَا التَّقْوى، قَالَ تَعَالَى:«إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ »(التوبة:٦).

وَوَلايَةُ الله لا تُنَالُ إلاَّ بالتَّقوى، قَالَ تَعَالَى: «وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ »(الأنفال:٣٤).

وَمعيَّةُ الله للعَبْد سَبَبُهَا التَّقْوَى، قَالَ تَعَالَى:« إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ »(النحل:١٢٨).

وَالنَّصرُ وَالتَّمْكينُ في الأَرْض سَبَبُهُ التَّقوَى، قَالَ تَعَالَى:« وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »(آل عمران:١٢٣).

وَالتَّأمينُ عَلَى الْحيَاة لا يَكُونُ إلاَّ بالتَّقْوَى، قَالَ تَعَالَى: « وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا »(النساء:٩).

وَالتَّوْفيقُ لصَالح الْعَمَل سَبَبُهُ التَّقوى، قَالَ تَعَالَى:« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا »(الأحزاب:٧٠-٧١).

وَقَبُولُ صَالح الْعَمَل سَبَبُهُ التَّقْوَى، قَالَ تَعَالَى:«إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ »(المائدة:٢٧).

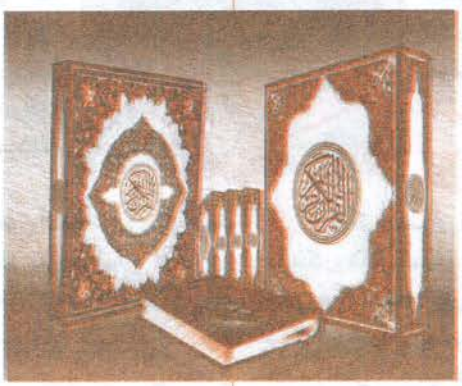
وَالنَّجاةُ منَ النَّار بَعْدَ وُرُودهَا سَبَبُهُ التَّقوَى، قَالَ تَعَالَى:« وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا »(مريم:٧١-٧٢).

وَالْفَوْزُ بالْجَنَّة سَبَبُهُ التَّقْوَى، قَالَ تَعَالَى:«تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا »(مريم:٦٣)، وَقَالَ تَعَالَى:«وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ »(آل عمران:١٣٣).

وَهَكَذَا ظَهَرَ لَنَا أَنَّ التَّقْوَى سَبَبُ خَيري الدُّنْيَا وَالآخرَة، وَلذَلكَ قَالَ الْقَائلُ:

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمْعَ مَالٍ
وَلَكِنَّ التَّقيَّ هُوَ السَّعِيدُ
وَتَقْوَى اللهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْرًا
وَعِنْدَ اللهِ لِلأَتْقَى مَزِيدُ

وَإذ الأَمْرُ كَذَلكَ تَعَيَّنَ عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْذَرُ الآخرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّه أَنْ يَعْرفَ مَا هيَ التَّقْوَى؟ وَمَنْ هُمُ الْمُتَّقُونَ؟



أَمَّا التَّقْوَى فَهيَ الاسْمُ منْ قَوْلهمْ: اتَّقَى، وَالْمَصْدَرُ الاتِّقَاءُ، وَكلاهُمَا مَأْخُوذٌ منْ مَادَّة (وَ ق ي) الَّتي تَدُلُّ عَلَى دَفْع شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ بغَيْره.

قَالَ الرَّاغبُ: الْوقَايَةُ: حفْظُ الشَّيْء ممَّا يُؤْذيه وَيَضُرُّهُ. يُقَالُ: وَقَيْتُ الشَّيْءَ أَقيه وقَايَةً وَوقَاءً. قَالَ تَعَالَى:«فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا »(الإنسان:١١).

وَالتَّقْوَى: جَعْلُ النَّفْس في وقَايَة ممَّا يُخَافُ، هَذَا تَحْقيقُهُ، ثُمَّ يُسَمَّى الْخَوْفُ تَارَةً تَقْوَى، وَالتَّقْوَى خَوْفًا حَسَبَ تَسْميَة مُقْتَضَى الشَّيْء بمُقْتَضيه، وَالْمُقْتَضي بمُقْتَضَاهُ.

و التَّقْوَى في تَعَارُف الشَّرْع: حفْظُ النَّفْس عَمَّا يُؤْثمُ، وَذَلكَ بتَرْك الْمَحْظُور، وَيَتمُّ ذَلكَ بتَرْك بَعْض الْمُبَاحَات، لمَا رُويَ: (الْحلالُ بَيِّنٌ وَالْحرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثيرٌ منَ النَّاس، فَمَن اتَّقَى الْمُشَبَّهَات اسْتَبْرَأَ لدينه وَعرْضه، وَمَنْ وَقَعَ في الشُّبُهَات كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ

الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ). (صحيح البخاري: ٥٢، وصحيح مسلم ١٥٩٩).

وَقَدْ تَنَوَّعَتْ عِبَارَاتُ الْعُلَمَاءِ فِي التَّقْوَى:

قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: يُنَادَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَّقُونَ؟ فَيَقُومُونَ فِي كَنَفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ لا يَحْتَجِبُ مِنْهُمْ وَلا يَسْتَتِرُ، قَالُوا لَهُ: مَنِ الْمُتَّقُونَ؟ قَالَ: قَوْمٌ اتَّقَوُا الشِّرْكَ وَعِبَادَةَ الأَوْثَانِ، وَأَخْلَصُوا للهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمُتَّقُونَ الَّذِينَ يَحْذَرُونَ مِنَ اللهِ عُقُوبَتَهُ فِي تَرْكِ مَا يَعْرِفُونَ مِنَ الْهُدَى، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ فِي التَّصْدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللهُ: الْمُتَّقُونَ اتَّقَوْا مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَأَدَّوْا مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللهُ: لَيْسَ تَقْوَى اللهِ بِصِيَامِ النَّهَارِ، وَلا بِقِيَامِ اللَّيْلِ، وَالتَّخْلِيطِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ تَقْوَى اللهِ تَرْكُ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَأَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللهُ، فَمَنْ رُزِقَ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرًا، فَهُوَ خَيْرٌ إِلَى خَيْرٍ.

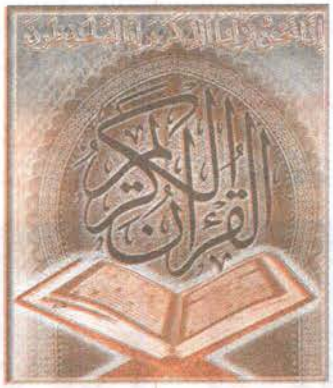
وَقَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ رَحِمَهُ اللهُ: التَّقْوَى أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ تَرْجُو ثَوَابَ اللهِ، وَأَنْ تَتْرُكَ مَعْصِيَةَ اللهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ تَخَافُ عِقَابَ اللهِ.

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: تَمَامُ التَّقْوَى أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ الْعَبْدُ حَتَّى يَتَّقِيَهُ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ، وَحَتَّى يَتْرُكَ بَعْضَ مَا يَرَى أَنَّهُ حَلالٌ خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ حَرَامًا، يَكُونُ حِجَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَامِ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ بَيَّنَ لِلْعِبَادِ الَّذِي يُصَيِّرُهُمْ إِلَيْهِ فَقَالَ: «فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»(الزلزلة:٧-٨)، فَلا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ أَنْ تَفْعَلَهُ، وَلا شَيْئًا مِنَ الشَّرِّ أَنْ تَتَّقِيَهُ.

وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللهُ: مَا زَالَتِ التَّقْوَى بِالْمُتَّقِينَ حَتَّى تَرَكُوا كَثِيرًا مِنَ الْحَلالِ مَخَافَةَ الْحَرَامِ.

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: إِنَّمَا سُمُّوا «مُتَّقِينَ»، لأَنَّهُمُ اتَّقَوْا مَا لا يُتَّقَى.

وَقَالَ مُوسَى بْنُ أَعْيَنَ رَحِمَهُ اللهُ: الْمُتَّقُونَ تَنَزَّهُوا عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْحَلالِ مَخَافَةَ أَنْ يَقَعُوا فِي الْحَرَامِ، فَسَمَّاهُمُ اللهُ مُتَّقِينَ.



وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ رَحِمَهُ اللهُ: الْمُتَّقِي أَشَدُّ مُحَاسَبَةً لِنَفْسِهِ مِنَ الشَّرِيكِ الشَّحِيحِ لِشَرِيكِهِ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ »(آل عمران)، قَالَ: أَنْ يُطَاعَ، فَلا يُعْصَى، وَيُذْكَرَ، فَلا يُنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ، فَلا يُكْفَرَ. (جامع العلوم والحكم (ص ١٣٨)).

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُ! قَبْلَ أَنْ تَبْدَأَ فِي الصِّيَامِ ضَعْ هَذِهِ الْغَايَةَ نُصْبَ عَيْنَيْكَ، وَتَطَلَّعْ إِلَيْهَا، وَاحْرِصْ عَلَى الْوُصُولِ إِلَيْهَا، حَتَّى تَجْنِيَ ثِمَارَ التَّقْوَى، وَحَتَّى يَكُونَ صِيَامُكَ- وَكُلُّ أَعْمَالِكَ- مَقْبُولاً، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى: « إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ »(المائدة:٢٧).

والحمد لله رب العالمين.

من معالم البركة في شهر رمضان

«سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدُّك، ولا إله غيرك، الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلاً... وبعد:

فإن الحديث عن البركة حديث ذو شجون ومطلب عزيز تتطلع إليه النفوس وتهفو إليه الأفئدة في زمن افتقدنا فيه البركة في كل شيء، والبركة جند من جنود الله يضعها حيث يشاء لعبد من عباده، فإذا وُضعت في المال كثّرته، وإذا وُضعت في الولد أصلحته، وإذا وُضعت في البدن قوّته، وإذا وُضعت في الوقت عمّرته، وإذا وُضعت في القلب أسعدته.

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

البركة من الله

فالبركة إذن من الله، والله ينزلها من السماء ويضعها في الأرض، يبارك الله سبحانه في الأشياء المادية فتنمو وتزيد، ويبارك في الأشياء المعنوية فتزكو وتطهر وتكون رحمة وهداية، وقد بيّن الله في كتابه الكريم أنه خَلَقَ الأرض، وبارك فيها، كما وضع البركة في رسله وكتبه وعباده الصالحين، ووضعها في الأمكنة التي خصها الله سبحانه بأنواع من البركة، ونحاول في هذه العجالة أن نتلمس بعضها، علّنا نصيب منها بفضل الله:

أولاً: شهر رمضان شهر مبارك

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاكم رمضان؛ شهر مبارك، فرض الله عز وجل عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة



الشياطين؛ لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حُرم». (صحيح النسائي: ٢١٠٥).

وبتأمل هذا الحديث الشريف نلاحظ ما يلي:

١- وصف النبي صلى الله عليه وسلم شهر رمضان بـ «المبارك».

٢- ومن علامات بركته:

أ- فرض الله صيامه.

ب- تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم. وفي رواية أخرى عن عتبة بن فرقد: قال عليه الصلاة والسلام: «تفتح أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار». ولعل هذه الرواية تفسِّر قوله في الحديث السابق: «تفتح فيه أبواب السماء». فيكون المقصود بـ«تفتح أبواب السماء» أي: أبواب الجنة، ولو جمعنا بين الروايتين فلا بأس، فتفتح أبواب السماء لقبول الدعاء والعمل الصالح بجمع الأمرين، وهو أعمُّ، والله أعلم.

وفي رواية عتبة: جاء قوله صلى الله عليه وسلم: «يا باغي الخير هلم، ويا باغي الشر أقصر». وفيها حث على الاجتهاد في الطاعة والعبادة، ومنها الدعاء، وهذا أيضًا جاء في صحيح سنن النسائي للإمام الألباني رحمه الله برقم (٢١٠٦).

ج- ومن معالم البركة أيضًا أن مَرَدَةَ الشياطين تُغل في هذا الشهر، فيقل الشر ويكثر الخير وأهله، والحمد لله.

د- ومن معالم البركة الواردة في حديث أبي هريرة المتقدم أن في رمضان ليلة هي خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حُرم، ولا شك أن هذه الليلة المقصودة هي ليلة القدر، وقد سماها الله تصريحًا بالليلة المباركة، فقال تعالى: «إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ» (الدخان:٣).

ولا شك أن المشار إليه بقوله: «أنزلناه» هو القرآن الكريم وهناك سورة كاملة في القرآن الكريم تسمى سورة «القدر» جاء فيها: «إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ» (القدر:١-٥).

فهذه هي الليلة المباركة وهي ليلة القدر والشرف العظيم، وقد وصفها الله بأنها خير من ألف شهر، وهذه لا شك بركة عظيمة من الله تمنح القائم فيها عبادة عمر كامل يزيد على ثلاث وثمانين سنة من الطاعة والعبادة الخالصة، فأي بركة هذه؟! وأي فضل يتفضل الله به على عباده؟! ما أعظم هذا الفضل وما أكرم هذا العطاء من رب العالمين لعباده الصادقين!!

ثانيًا: القرآن مبارك:

وصف الله تعالى الليلة التي أنزل فيها القرآن بالمباركة؛ لأن القرآن الذي أنزل فيها كتاب مبارك، وقد شهد القرآن بذلك في أربعة مواضع:

الموضع الأول: دعوة أهل الكتاب وغيرهم للإيمان به بعد أن جعلوا ما في أيديهم من كتاب «قراطيس» نسخًا يكتبونها بأيديهم؛ يُخفون منها ما يشاءون، ويُبدون منها ما يشاءون بحسب أهوائهم، وهم بذلك لا يقدرون الله حق قدره ولا يقدرون كتبه ولا رسله فدعاهم الله للإيمان بهذا القرآن الذي أنزله مباركًا مصدقًا لما بين يديه وهو مصدر التقوى والهداية والرحمة، فقال الله تعالى: «وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» (الأنعام:٩٢)، فهذا القرآن أنزله الله لتصحيح مسيرة السابقين وإنذار وهداية العالمين؛ لأن المقصود بأم القرى

(مكة)، ومن حولها (كل أهل الأرض)، وهذا المعنى جاء مصرحًا به في مواضع أخر فقال سبحانه وتعالى: «وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ» (الأنبياء:١٠٧)، وقال تعالى: «تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا» (الفرقان:١)، وقال تعالى: «وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (سبأ:٢٨).

الموضع الثاني في قوله تعالى: «وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (الأنعام:١٥٥)، وهذا في مقام إقامة الحجة على العرب وعلى غيرهم ودعوتهم لاتّباعه إذا أرادوا رحمة الله.

الموضع الثالث: في مقام التحذير من الكفر به، وإنكار ما جاء من حقائق الإيمان، قال الله تعالى: «وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ» (الأنبياء:٥٠).

الموضع الرابع: في مقام الدعوة لتدبره والعمل به؛ لأنها الغاية من إنزاله، قال الله تعالى: «كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ» (ص:٢٩)، فالغاية هي التدبر والقراءة وسيلة فلا نجعل الوسيلة غاية فيقع الخطأ.

بعض أقوال المفسرين في وصف القرآن بأنه (مبارك):

قال الإمام الألوسي رحمه الله: وقوله سبحانه: «مبارك» أي: كثير الفائدة والنفع؛ لاشتماله على منافع الدارين وعلوم الأولين والآخرين. وقال الإمام الرازي: «وقد جرت سنة الله تعالى أن الباحث في هذا الكتاب المتمسك به يُحصِّل به عز الدنيا وسعادة الآخرة». وقال أيضًا في تفسيره: «العلوم إما نظرية وإما عملية، فالأولى أشرفها وأكملها معرفة ذات الله وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه، ولا ترى هذه العلوم أكمل ولا أشرف ما تجده في القرآن الكريم، وأما الثانية: فالمطلوب: إما أعمال الجوارح، وإما أعمال القلوب وهو المسمى طهارة الأخلاق وتزكية النفوس ولا تجد هذين العلمين؛ بمثل ما تجد في هذا الكتاب المبارك.

وقال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: «كتاب أنزلناه مبارك»: أي فيه الخير الكثير والعلم الغزير، وهو الذي تُستمد منه سائر العلوم وتُستخرج منه البركات، فما من خير إلا وقد دعا إليه، ورغَّب فيه، وذكر الحِكم والمصالح التي تحثّ عليه، وما من شر إلا وقد نهى عنه، وحذر منه ومن عواقبه الوخيمة. اهـ.

ومهما تكلم أهل التفسير عن بركة القرآن فلن يوفوها حقَّها؛ لأن هذا القرآن كلام الله يستمد بركته من الله، وهذا شرف ما بعده شرف ويعجز المرء عن وصفه مهما بلغ وقد وصفه الله ونعم ما وصف.

«الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ» (هود:١)، وقال سبحانه: «الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ» (إبراهيم:١)، وقال تعالى: «وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» (فصلت:٤٢).

وقد جعل الله البركة في بعض آياته وسوره، وعلى سبيل المثال لا الحصر ما جاء في فضل سورة البقرة حيث قال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم في صحيحه: «اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة» قيل هم (السحرة). والله أعلم.

وإنما يكون القرآن بركة لمن يؤمن به بحق بكامله، ولا يضرب القرآن بعضه ببعض فيؤمن ببعض ويكفر ببعض أو يضرب

بمتشابهه محكمه؛ بل يرد المتشابه إلى المحكم، كما هو حال الذين هداهم الله والذين يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وأما أصحاب القلوب المريضة أهل الفتن والضلالات فقد وصفهم الله بقوله: «فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ» (آل عمران:٧) أي: تحريفه عن الحق والتشكيك في صحته وإثارة الفتنة في القلوب والمجتمعات، وهذا دين أصحاب القلوب المريضة الزائفة عن الحق، نعوذ بالله منهم ونسأله كما سأله المؤمنون الصادقون، «رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ» (آل عمران:٨)، فالقرآن بركة لمن عمل به وأحل حلاله وحرّم حرامه، وجعله إمامه، قال الله تعالى: «وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ» (الحاقة:٤٨)، وقال تعالى: «وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ» (الحاقة:٥١)، وهنا نأتي إلى المعلم الثالث من معالم البركة.



ثالثًا: بركة التقوى:

التقوى ثمرة الصيام، «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ» (البقرة:١٨٣)، فالصوم سبيل التقوى، والقرآن تذكرة للمتقين وهدى للمتقين، وقد اجتمعا في رمضان، قال الله تعالى: «وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ» (الأعراف:٩٦)، ولا شك أن التقوى ثمرة من ثمرات البركة في رمضان.

رابعًا: السحور بركة:

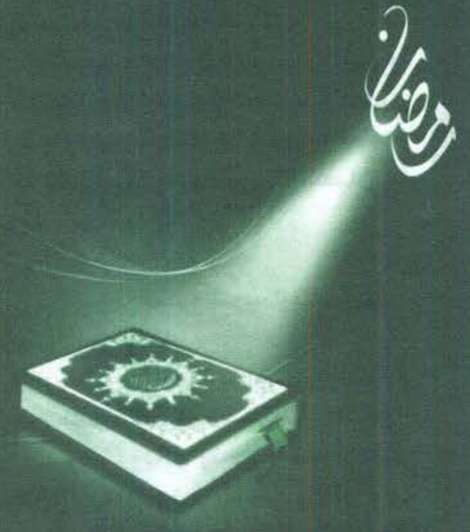
عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تسحروا؛ فإن في السحور بركة». متفق عليه. فالسحور بركة لأن الوقت الذي يكون فيه السحور وقت مبارك ينزل الله فيه إلى السماء الدنيا؛ يغفر الذنب ويقبل التوب ويجيب الدعاء، ولذلك يُستحب تأخير السحور إلى ما قبل الفجر بقليل، وقد ثبت في الصحيحين من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه تسحر مع رسول الله، وقد كان بين السحور والفجر مقدار قراءة خمسين آية، وفي السحور بركة لأنه فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب، ففي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص قال صلى الله عليه وسلم: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر».

وفي السحور بركة لأنه استجابة لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يدعو المسلم في هذا الوقت المبارك بدعوة لا ترد.

وفي السحور بركة؛ لأن المسلم يستعين به على طاعة الله وفيه بركة لأنه يدرك معه صلاة الفجر ويفوز برضا الله سبحانه وتعالى وحفظه، ويدرك بركة البكور وخصوصًا لو اتبع السنة وأخّر السحور كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم.

والحديث عن البركة في رمضان يطول فيكفي أن الرسول صلى الله عليه وسلم سماه «شهر مبارك»، ويكفي أن الله فرض فيه الصيام وسن الرسول فيه القيام، ويكفي أن الله أنزل فيه القرآن فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، ويكفي أن ليلة القدر خير من ألف شهر، وكل ذلك لا يتحصل إلا بتقوى الله في رمضان في أيامه ولياليه في صيامه وقيامه وفي القرآن الذي أنزل فيه.

اللهم أسعدنا في رمضان بالصيام والقيام، وتقبل منا الدعاء والأعمال الصالحة، وأقل الأمة عثرتها وردها إلى دينك ردًا جميلاً.. آمين، والحمد لله رب العالمين.



رمضان بين العادة والعبادة

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعدُ؛

فلقد اعتادت مجلتنا - لسان دعوة التوحيد - أن تخرج عن طورها فرحة بقدوم رمضان خروج الشاكرة المحتفلة المتوثبة المشتاقة المتزينة بأبهى ما يتزين المحب لاستقبال حبيبه، فكان من مظاهر ذلك أن تلقي على مادتها مما أفاض الله عليها به من استعدادها لهذا الشهر، فتخرج لنا في حُلة خاصة تذكر الناس بالضيف الكريم الذي حل بقلوبهم، وما ينبغي عليهم مما يستطيعون تجاهه، فكان مما اخترت لنفسي عنوانًا أخذ بمجامع قلبي رمقته بين عناوين طرحها علينا قلب مجلتنا وهو ينبض بحب الشهر، ألا وهو ما أسلفت لك وقرأت أنت.

فأردت - من باب توبتي إلى الله في استقبال شهرنا - أن أدور حوله معتمدا على حديث يحفظه الجميع ولا يوفي شكر نعمته إلا من رحم ربي وعند الله العفو والفضل، وحديثنا هو: ما رواه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه". رواه البخاري ومسلم.

من فرائد هذا الحديث:

١- يبتدئ به العلماء كتبهم، ومن ذلك ما فعله البخاري فصدَّر به كتابه الصحيح، وأقامه مقام الخطبة له؛ إشارة منه إلى أن كل عمل لا يُراد به وجه الله فهو باطل لا ثمرة له في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي: "من أراد أن يصنّف كتابا فليبدأ بحديث الأعمال بالنيات".

٢- وهذا الحديث أحد الأحاديث التي يدور الدين عليها، فقد روي عن الشافعي أنه قال: «هذا الحديث ثلث العلم، ويدخل في سبعين بابا من الفقه». وعن الإمام أحمد رضي الله عنه قال: «أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث؛

حديث عمر إنما الأعمال بالنيات، وحديث عائشة من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد، وحديث النعمان بن بشير الحلال بين والحرام بين) انتهى. (راجع: جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي رحمه الله في شرح حديث إنما الأعمال بالنيات ص٧ فستجد كنزا بلا حارس).

٣- قلت: حديث كهذا قسيم في كل الأعمال؛ وذلك لأن النية شرط في كل عمل، ألا يستحق أن يكون نصف العلم؟ بل إذا تقرر أن كل عبادة تحتاج إلى نية والنية وحدها قد تصح عبادة فلا تحتاج لغيرها، ألا يستحق أن يزيد على النصف؟

٤- وللباحثين عن السعادة نقول: لا بد أن نعلم أنه لا سعادة ولا استقرار إلا بالإخلاص لله، وبقدر ما ينشغل العقل في إيجاد السعادة بغير الإخلاص لله تعالى، بقدر ما يشقى صاحبه ويتعذب، لذا فإننا نقول: أمرٌ هذا شأنه ألا يدعوك إلى مزيد من القراءة والاطلاع للتذكير بفضل الإخلاص وصوره، وخطر الرياء وطرق معالجته، ويعينك على ذلك مطالعة سير السلف. (راجع: كتب السير عامة: كسير أعلام النبلاء للذهبي، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم، وإعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، وذم الهوى لابن الجوزي، وغيرهم).

رمضان بين العادة والعبادة

عادة الناس في استقبالهم لرمضان:

ومما اختص به شهرنا أن الناس على اختلاف توجهاتهم يستقبلونه بمزيد من الاهتمام والناس في هذا الاهتمام مذاهب:

فمنهم الخائف من قدومه أن يحرم من لذاته وشهواته والحمد لله قليل ما هم، ومن سماتهم أنه إذا صام الواحد منهم عن شهواته المحرمة التي اعتاد فعلها في غير رمضان كان صيامه عنها وقتياً؛ فتراه يتحين غروب الشمس متى تغيب ليهرع إلى ما استمرأ عليه من شهواته المحرمة، بل ربما بادر بالفطر على شيء من هذه المحرمات.

فالصيام عندهم يقطع عنهم لذة التمتع، وهؤلاء قد يهدم ليلهم نهارهم، فيستقبلون الشهر على وجل، يقبلون على الطعام والشراب وكأنهم يأخذون في شعبان ما سيحرمونه في رمضان!!

إذا العشرون من شعبان ولّت
فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار
فإن الوقت ضاق على الصغار

- ومنهم المستقبل بمزيد من التجهز بالمطعومات والمشروبات ونحو ذلك؛ وكثير ما هم؛ وهؤلاء يتأهبون بالتبضع والتجهيز؛ وبعضهم يبالغ في أصناف المأكولات والمشروبات؛ ففي الغالب نجد استعدادات مادية شكلية، وليس هذا هو المراد إنما المراد هو الاستعداد القلبي الايماني، شحذا للهمم وإعلانا لتوبة نصوح، ووضعًا لبرنامج وتخطيطاً مسبقاً لاستثمار هذا الشهر الكريم.

ومنهم المقتدي بنبيه المتأسي بسلفه الطيبين المتأهب لنيل فضل رب العالمين في هذا الشهر الكريم، فإذا به يطالع ما له وما عليه في رمضان باحثا متعلما ومعلما لسنة خير الأنام ومن تبعه من أصحابه وأتباعهم الكرام.

تلك صنوف من الناس أربعة فيا ترى إلى صنف تنحاز أيها الحبيب؟ إنني أربأ بنفسي وإياك أن نكون من الصنف الأول ولا أحب أن يكون حظي وإياك من رمضان كأصحاب الصنف الثاني ، إذن أعود بنفسي وإياكم إلى ذلكم الصنف الثالث ذلكم المحب الذي استبشر بدخول الشهر لعلمه بما يجده من اللذة بصيامه ومن أنس في قيامه، فنهاره تسبيح وتهليل وتحميد وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وصدقة وبر وإغاثة وإحسان، وليله لا يهجع فيه إلا القليل تحسباً للهجوع الطويل.

فراجع أحوالك من مراجعتك لحال السلف في رمضان وأحيلك في ذلك على كتاب لطائف المعارف.

صيامهم بين العادة والعبادة:

وإن من جميل ما نراه في رمضان أن بعض الناس لو ضرب على أن يفطر في شهر رمضان لغير عذر لم يفعل، لكننا نربأ بمن يفعل ذلك أن يفعله حياء من الناس؛ نريد ممن يفعل ذلك أن يفعله لعلمه أن الله لا يحب منه هذا بغير عذر، ومن علامات الإيمان أن يكره المؤمن ما يلائمه من شهواته إذا علم أن الله يكرهه لذا قد يتلذذ العبد أحيانا بما يراه من تعب في صيامه ولسان حاله يقول:

عذابي فيك عذب
وبعدي فيك قرب
حسبي من الحب أني
لما تحب أحب

لا تقربوا الفواحش:

ومن جميل العادات أن الناس يتقربون إلى الله بترك المطعومات والمشروبات؛ فهلا تقربوا إليه بالإعراض عن الفواحش عامة؟ وذلك بالتقرب إليه بترك ما حرمه الله في كل حال، من الكذب والظلم والعدوان قال صلى الله عليه وسلم: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) (رواه البخاري).

قال أحدهم:

إذا لم يكن في السمع مني تصاون
وفي بصري غض وفي منطقي صمت
فحظي إذاً من صومي الجوع والظما
وإن قلت إني صمت يومي فما صمت

(راجع: لا تقربوا الفواحش للشيخ جمال عبد الرحمن).

ولمن مَنَّ الله عليهم بالإعراض عن أكل الحرام نقول: اشكروا الله واسألوه أن يمن عليكم بالإعراض عن أكل لحوم إخوانكم، فلا تلوكوا أعراضهم ولا تهتكوا أستارهم (راجع: باب السنة لشهر رجب بعنوان: أمانة الكلمة بين ورع المتبعين وإسراف المخالفين).

قيامهم بين العادة والعبادة:

ومن جميل ما اعتاد عليه الناس أنهم يحرصون على قيام الليل في رمضان والتنقل بين المساجد لأجل هذا:

فليكن قيامهم مصحوبًا بنية التقرب إلى الله لا بنية التقليد والخجل أن يتخلف عما يفعله الآخـرون؛ وليكن قيامهم -تنفلاً- مسبوقًا بالمحافظة على الفرائض من الصلوات المكتوبات فهل يليق بذي لب أن يحرص على النافلة ويقصر في الفريضة وقد قال الله: (...وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه.....الحديث)(أخرجه البخاري)، ثم ليكن تنقلهم بين المساجد ليس بحثًا عن الصوت الأجمل، ولكن بحثًا عن الصلاة الأكمل وإن كان معه الصوت الحسن فهو نور علي نور؛ وهى تلكم التي توافق السنة من جهة وتجد فيها قلبك من جهة أخرى.

قراءتهم للقرآن وصدقاتهم

ومن أشهر ما اعتاد عليه الناس في رمضان أنهم يجودون بالخير ويقرءون القرآن:

لأن شرعنا حث عليه وأرشد إليه ففي الصحيحين (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فرسول الله صلى الله عليه و سلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة"(البخاري حديث ١٩٠٤، ومسلم حديث ١١٥١).

وهو خير كبير وعلامة على الشهر، لكننا لا نريد ذلك عادة وتقليدا يقلد بعضنا بعضا أو يتباهى به بعضنا على بعض، أو خصلة اشتهر بها آباؤنا فلا نتخلى عنها؛ لأننا على آثارهم مقتدون، نحن نريد ذلك لله حقا حقا تعبدا ورقا؛

تراه إذا ما جئته متهللا
كأنك تعطيه الذي أنت سائله

أعمال العشر الأخيرة بين العادة والعبادة:

ومما تعود عليه الناس في رمضان هو تخصيص العشرة الأخيرة بمزيد من العبادة والإحسان:

وفي الصحيحين (عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله)، هذا لفظ البخاري وفي رواية لمسلم عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره).

وهل يماري في فضل ذلك إلا الجحود؟ لكننا نريده بنية العبادة لا إلفا للعادة، نعم قد يصعب على المرء أن يتعب نفسه هذا التعب لمجرد العادة فقط، لكنه قد يحدث أن يرى المرء كل الناس يفعلون فيفعل؛ نحن لا نريد هذا لا لأنفسنا ولا لإخواننا، نحن نريده لله؛ كثير من الناس قد يترك عمله بالكلية في هذه العشر تفرغًا للاعتكاف، وكم هو أمر رائع لو استحضرت فيه نية العبادة لله وليس مجرد التقليد أو التعود أو الراحة من عناء العمل أو -لا قدر الله- التباهي بذلك، إننا نريد ممن يعتكف أن يعتكف لأنه يعلم أن الشارع حثه على ذلك:

يا نائم الليل كم ترقد

قم يا حبيبي قد دنا الموعد

ثم إننا نريد من المعتكف في اعتكافه أن يحقق المقصد منه فلا يضيع وقته في السمر أو المراء والرياء:

((فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره؛ وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه فما بقي له هم سوى الله وما يرضيه عنه.. فمعنى الاعتكاف وحقيقته: قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والأنس به أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله تعالى بالكلية على كل حال)).

يتحرى الناس فيها ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر؟

لله أيضًا وليس لأنه من العيب أن يعبد الناس كلهم ربهم في هذه الليلة، وأتخلف أنا، نقومها لأننا نعلم أن الله قد قال في فضلها «خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ»، وأنه قد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليه.

وفي وداع رمضان بين العادة والعبادة والنَّاس في ذلك أقسام:

ما بين سعيد بالراحة من الصيام والتخلص من أعباء رمضان وآخر سعيد أيضا لأنه يظن أنه حاز الخير وحصله، ومنهم من يحتفل مع المحتفلين، ولا يفكر إلا في لحظته، ونحن لا نحمل الناس الهموم بل ندعوهم إلى ما يسعدهم ويسرهم، بأن يفكر المرء في نهاية الشهر فيما حصل؛ ويا ترى هل هو من الفائزين أم من المحرومين؟! ((كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله ويخافون من رده، وتجد ذلك فيما روي عنهم، فمما روي عن علي رضي الله عنه أنه كان ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان: "يا ليت شعري من هذا المقبول فنهنيه؟! ومن هذا المحروم فنعزيه؟!"

ترحل شهر الصبر والهفاه وانصرما

واختص بالفوز في الجنات من خدما

(فمن منكم أحسن فيه فعليه التمام، ومن فرط فليختمه بالحسنى والعمل بالختام، فاغتنموا منه ما بقي من الليالي اليسيرة والأيام، واستودعوه عملا صالحا يشهد لكم به عند الملك العلام، وودعوه عند فراقه بأزكى تحية وسلام.

سلام من الرحمن كل أوان

على خير شهر قد مضى و زمان

(راجع لطائف المعارف لابن رجب)

والحمد لله رب العالمين.

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

الحلقة (٣٤) — إعداد / علي حشيش

٣٣٤- إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، نَظَرَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَى خَلْقِهِ وَإِذَا نَظَرَ اللَّهُ إِلَى عَبْدٍ لَمْ يُعَذِّبْهُ أَبَدًا، وَلِلَّهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ أَلْفُ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ.

الحديث لا يصح: أخرجه أبو بكر محمد بن الحسين بن فنجويه الثقفي في مجلس من الأمالي في فضل رمضان (ح٦) قال: حدثنا والدي، حدثنا محمد بن بندر الأمير، حدثنا حماد بن مدرك الهجستاني حدثنا عثمان بن عبد الله حدثنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا وعلته عثمان بن عبد الله الشامي قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٠٢/٢): «يروي عن الليث بن سعد ومالك وابن لهيعة؛ ويضع عليهم الحديث؛ لا يحل كتابة حديثه إلا على سبيل الاعتبار».

وقال ابن عدي في «الكامل» (١٧٦/٥) (١٣٣٦/٣٦٨): «عثمان بن عبد الله حدث عن مالك وحماد بن سلمة وابن لهيعة وغيرهم بالمناكير، وحدث في كل موضع بالمناكير عن الثقات».

٣٣٥- صَلُّوا خَلْفَ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَصَلُّوا عَلَى مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ.

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في الكامل (١٧٦/٥) قال: حدثنا علي بن إسحاق بن زاطيا قال: حدثنا عثمان بن عبد الله قال: حدثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا؛ وعلته عثمان بن عبد الله الشامي قال ابن حبان في المجروحين (١٠٢/٢) بعد أن أورد هذا الحديث: «ليس هذا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا من حديث ابن عمر، ولا من حديث نافع ولا من حديث مالك». بل وضعه على مالك. اهـ.

٣٣٦- يَا عَلِيُّ، لَوْ أَنَّ أُمَّتِي صَامُوا حَتَّى يَكُونُوا كَالأَوْتَارِ، ثُمَّ أَبْغَضُوكَ لأَكَبَّهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ.

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٧٨/٥) من حديث جابر مرفوعًا؛ قال ابن عدي: هذا الحديث لا يرويه غير عثمان بن عبد الله الشامي ولعثمان غير ما ذكرت من الأحاديث، أحاديث موضوعات. اهـ. وقد بينا حاله آنفًا.

٣٣٧- صَمْتُ الصَّائِمِ تَسْبِيحٌ، وَنَوْمُهُ عِبَادَةٌ، وَدُعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ، وَعَمَلُهُ مُضَاعَفٌ.

الحديث لا يصح: أخرجه الديلمي في (مسند الفردوس) (٢٥٣/٢) (ح٣٧٦١) من حديث ابن عمر مرفوعًا وعلته الربيع بن بدر قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٢٠٠): «متروك الحديث بصري». اهـ. وهذا المصطلح عند الإمام النسائي له معناه حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣): «مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ. وذكره الذهبي في الميزان (٢٧٣٠/٣٨/٢) ونقل قول النسائي فيه وأقره وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال ابن عدي: عامة رواياته لا يتابع عليها. اهـ. وقال ابن حبان في «المجروحين» (٢٩٣/١): «كان ممن يقلب الأسانيد؛ ويروي عن الثقات الموضوعات، وعن الضعفاء الموضوعات». اهـ.

٣٣٨- الصِّيَامُ جُنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرِقْهُ، قِيلَ: وَبِمَ يَخْرِقُهُ؟ قَالَ: بِكِذْبَةٍ أَوْ بِغِيبَةٍ.

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (ح٤٥٣٣) (ح٧٨١٠) عن الربيع بن بدر عن يونس عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعًا وقال لم يرو هذا الحديث عن يونس إلا الربيع بن بدر وهو متروك يروي الموضوعات كما بينا آنفًا.

فائدة: حتى لا يتقول علينا من لا دراية له، فقد بينا أن هذا الحديث لا يصح بهذا المتن، أما جملة «الصيام جُنة» فقد جاءت في حديث آخر ومتن مختلف صحيح متفق عليه من حديث أبي هريرة؛ أخرجه البخاري في صحيحه (ح١٨٩٤، ١٩٠٤) مرفوعًا: «الصيام جنة؛ وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم، مرتين، والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها». وأخرجه مسلم في كتاب الصوم (ح١٦٢)، (١٦٣).

فائدة أخرى: الأحاديث المنتشرة على ألسنة الناس في «الصيام» خرجناها وحققناها بالأرقام التالية:

(٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٤، ١٧٥، ٢٤٠، ٢٤٢) في هذه السلسلة بالإضافة إلى ما جاء في هذا العدد وبينا أنها لا تصح.



نستقبل رمضان.. فماذا أعددنا؟

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على خاتم النبيين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، سيدنا محمد الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ومن الأئمة المهديين والدعاة المصلحين.

أما بعدُ:

فإذا كان لبلوغ الآمال فرحة، وللظفر بالمطلوب والمرغوب متعة وبهجة؛ فإنَّ من حق المسلمين جميعًا أن يستجمعوا الفرصة، وتكون لهم أعظم متعة وبهجة ببلوغ رمضان وإشراق شمسه؛ لأن بلوغ رمضان فرصة عظمى ونعمة كبرى تقع في حساب من أحياه الله بعد طي شهور العام حتى بلغ رمضان، فكم من مؤمل أن تسلمه الأيام إلى رمضان لتكون له به الحظوة، فقعد به الأجل عن بلوغ الأمل، فكان من حقه الدعاء له بالرحمة والغفران، وكان من واجب المسلمين ممن أسبغ الله عليه النعمة ببلوغ شهر الصيام أن يستشعر النعمة ويقوم بشكر المنة، فإن طول العمر على الطاعة من أجلّ النعم على العبد يقدم بها من سبقه، رُبَّ ساعة قبول أدركت عبدًا فبلغ بها درجات الرضا والرضوان!!

عن طلحة بن عبيد الله أن رجلين من بلي قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إسلامهما جميعًا، فكان أحدُهما أشدَّ اجتهادًا من الآخر فغزا المجتهد منهما فاستشهد، ثم مكث الآخر بعده سنةً ثم توفي، قال طلحة: فرأيت في المنام بينا أنا عند باب الجنة إذا أنا بهما فخرج خارجٌ من الجنة، فأذن للذي تُوفي الآخر منهما، ثم خرج فأذن للذي استُشهد ثم رجع إليَّ، فقال: ارجع فإنك لم يأن لك بعدُ، فأصبح طلحة يحدِّث به الناس فعجبوا لذلك، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثوه الحديث، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من أي ذلك تعجبون؟ فقالوا: يا رسول الله، هذا كان أشد الرجلين اجتهادًا ثم استُشهد ودخل هذا الآخر الجنة قبله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أليس قد مكث هذا بعده سنة؟ قالوا:

بلى، قال: وأدرك رمضان فصام وصلى كذا وكذا من سجدة في السنة؟ قالوا: بلى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض». (سنن ابن ماجه: ٣١٧١ وصححه الألباني).

فإدراك رمضان فرصةٌ عظيمة للتزود من الطاعات، وقد لا تتكرر الفرصة، فكم من أناس كانوا يتمنون إدراك رمضان فلم يدركوه، بكى أحد الصالحين عند موته، فلما سُئل: قال: «إنما أبكي على أن يصوم الصائمون لله ولستُ فيهم، ويصلي المصلون ولست فيهم».

فإن أفزعتك دورة الأيام وأهمك أمر الآخرة، وأردت أن تعمل فلا تقصر، فاقصد باب التوبة، واطرق جادة العودة، وقل: لعله آخر رمضان في حياتي، ولا تستكثر عليك هذا!! فكم غيَّب الموت من صاحب، ووارى الثرى من حبيب، فاحزم أمرك وسر إلى الآخرة، فوالله أنا وأنت في أمس الحاجة إلى الحسنة الواحدة، بل أقل من ذلك، قال الله تعالى: « وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ » (الأنبياء:٤٧)، وقال الله تعالى: « فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » (الزلزلة: ٧- ٨).

أفلا نستبق الخيرات، قال الله تعالى: « وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (البقرة:١٤٨).
وقال الله تعالى: «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» (المائدة:٤٨).

وهذا كله فيه حث على المبادرة والمسارعة إلى القيام بما يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من الأقوال والأفعال، والحرص على أن يكون الإنسان في ذلك سابقًا لا مسبوقًا، وقد مدح الله تعالى المسارعين بالخيرات، وبيّن أن عاقبتهم الفلاح في الدنيا والنعيم الذي لا يزول في الآخرة، فقال الله تعالى في مدح أهل الكتاب الذين يتبعون آيات الله والمسارعين بالخيرات: « يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ » (آل عمران:١١٤).

كما بيّن سبحانه وتعالى أن المسارعة في الخيرات من أسباب استجابة الدعاء، فقال تعالى: « وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ » (الأنبياء:٨٩- ٩٠).

كما بين سبحانه وتعالى أن المسارعة في الخيرات من صفات الموحدين الذين هم من خشية ربهم مشفقون، فقال الله تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ » (المؤمنون: ٥٧- ٦١)، وقال الله تعالى بعد ذكره للعديد من الأنبياء: « وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ » (الأنبياء:٧٣)، وقال الله تعالى: « ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ » (فاطر:٣٢).

وإذا كانت المسارعة بالخيرات محمودةً مطلوبةً في كل آنٍ وحين وكل زمان ومكان، فإنَّ حدوث ذلك في الأزمان الشريفة أكثر فضلاً وخيرًا وأعظم أجرًا، ومن أزمان الفضل شهر رمضان تُفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار، وتسلسل فيه الشياطين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفدت الشياطين ومردة الجن، وغُلقت أبوابُ النار فلم يُفتح منها باب، وفُتحت أبوابُ الجنة فلم يُغلق منها باب، وينادي منادٍ كل ليلة: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة». (صحيح الجامع: ٧٥٩).

شهر رمضان تضاعف فيه الحسنات، وتُكفَّر فيه السيئاتُ، وتُقالُ العثراتُ، وترفعُ الدرجاتُ،

وتُجابُ الدعواتُ، ويتوبُ الله على من تاب، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي باغتنام مثل هذه الفرص التي هي أغلى من كل نفيس أن يتعرض فيها العبد لنفحات الله عز وجل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته، يصيب بها من يشاء من عباده، وسَلوا الله أن يستُر عوراتكم، وأن يُؤمِّن رَوعاتكم». (السلسلة الصحيحة: ١٨٩٠).

وقد فهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منه ذلك فصاروا يرددونها، قال أبو الدرداء: «التمسوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها منْ يشاء من عباده، واسألوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم».

ولا يشك أحد، ولا يختلف اثنان أن رمضان كله: ليله ونهاره أوله وأوسطه وآخره، من الأزمان التي تكثر فيها نفحات الله تعالى، لذا أكثر الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك المتابعون لطريقته المستنون بسنته من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من التعرض لتلك النفحات، بحضور القلب، ولزوم الذكر، والدعاء، وقراءة القرآن، والصدقة، والصلاة بالليل والناس نيام، والإحسان إلى خلق الله تعالى، فهؤلاء وجدوا ضالتهم برمضان حيث لذة العبادة، ولحظات التدبر والترتيل للقرآن، وروحانية الصيام والقيام، وروعة الخلوة والاعتكاف، والأعمال الصالحات؛ أيقنوا أن شهر رمضان أيام معدودات تمضي سريعة فهي فرصة لو أفلتت من العبد كانت له حسرة يا لها من حسرة، قال صلى الله عليه وسلم: «إن جبريل عليه السلام أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يُغفر له فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين». (صحيح الجامع: ٩٩٧).

فذلك شأن الغافلين، شأن من لم يستشعر في قرارة نفسه عظمة رمضان، فاستقبله بالتأفف والتبرم واستثقال ظله، والتعبيس لشمسه، وكان مراده فقط الاستعداد لهذا الشهر المبارك بالموائد الزاخرة بألوان من الطعام والشراب، وبالسمر في اللهو العابث الممتد إلى بزوغ الفجر، والنوم العميق إلى غروب الشمس، فلم يتعرض لنفحات رحمة الله التي يصيب بها من يشاء من عباده، فالشقي من حُرم فيه رحمة الله عز وجل؛ ذلك لأن وسائل الغفران والرضوان في رمضان لا يحدها الحسبان فمن حُرم من الرحمة في شهر الرحمة، ومن لم يغفر له في رمضان فهو الشقي المحروم.

فليبكِ بدموع الأسى والحسرة على الشقاء والحرمان، وهيهات أن تُجدي الحسرة أو ينفع البكاء بعد فوات الفرصة، وبعد أن يسعد الصالحون بالجوائز والرضوان، فمن كان هذا حاله فليذكر قول الله تعالى: «بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ» (المؤمنون: ٧٠- ٧٦).

وأما الذين يستقبلونه على أنه مدرسة لتجديد الإيمان وتهذيب الخُلق وتقوية الروح واستئناف حياة أفضل وأكمل، فهؤلاء هم الذين يستفيدون منه وهم الذين تُفتح لهم أبواب الجنان، وتُغلق عنهم أبواب النيران، فكونوا عباد الله خير الفريقين تفوزوا بالسعادة في الدارين، فالنفس تحتاج لوقفات وخلوات، لزيادة رصيد الإيمان، وسكب العبرات، وبقدر ما في القلب من النور سيكون قوة إشعاعه؛ لأن تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقيقة الإيمان ولذته، ولذا قال أبو بكر المزني: «ما فاق أبو بكر- رضي الله عنه

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوم ولا صلاة، ولكن بشيء كان في قلبه». (جامع العلوم والحكم ١/٢٢٥).

فهيا بنا لانتهاز الفرص، واستثمار هذا الموسم، لتقوية العلاقة بالله، وتصفية القلب مما علق عليه من الران، فرمضان جُنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، يعيد للقلب والجوارح صحتها التي سلبتها أيدي الشواغل والصوارف حتى وإن كانت خيرًا، ونردد قول القائل: من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يصلي عنك بعد الموت؟ العاقل يعلم يقينًا أن أول ما عليه النجاة بنفسه، وأنه إن لم يأخذ فلن يعطي، وبحسب كمية الوقود يكون طول المسير، ورمضان فرصة فهو شهر التوبة والمحاسبة، وشهر إقبال القلوب وصقلها، والتزود بالإيمان، فإن فاتت هذه المحطة فلا يجد غيرها بسهولة، فهو في صحراء مترامية الأطراف شديدة الغليان والذوبان، وعندما يتأمل الإنسان ما في رمضان من مجالات متعددة للمسارعة في الخيرات، يتعجب أشد العجب ممن لم يكن همه إلا الدنيا نظر إلى رمضان على أنه موسم للكسب والتجارة وتنمية الثروة، وإن نقص رصيده الإيماني، وقد يستغرب الإنسان حينما يقارن ذلك بما كان عليه كثير من العلماء من تركهم الاشتغال بالعلم في هذا الشهر مع فضل العلم وعظيم أجره، اشتغالاً بما فيه من العبادة من ذكر وقيام وقراءة للقرآن، كإمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رحمه الله كان يترك حلق التدريس في رمضان، ويتفرغ للعبادة وقراءة القرآن.

فكل تجارة في غير طاعة الله فهي خاسرة مصيرها إلى زوال.

وأما التجارة الرابحة التي لن تبور، والتي فيها يتنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، هي التي أشار الله إليها في قوله سبحانه: « إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ » (فاطر: ٢٩- ٣٠)، وقوله سبحانه: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » (الصف: ١٠- ١٣).

فيا أيها التاركون لما أوجب الله، المرتكبون ما حرم الله اجعلوا من شهر رمضان نقطة تحول من الشر إلى الخير، من الشرك إلى التوحيد، ومن الظلم إلى العدل، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن العقوق إلى البر، ومن القطيعة إلى الصلة، ومن الإساءة إلى الإحسان، ومن البدعة إلى السنة، ومن الكذب إلى الصدق، ومن مساوئ الأخلاق إلى مكارم الأخلاق، ومن أكل الحرام إلى أكل الحلال، ومن الفرقة والاختلاف إلى المحبة والوئام، فينبغي أن يكون شهر رمضان شهر تآخ ووحدة وائتلاف لا سيما والمسلمون جميعًا في هذا الشهر يقومون بعبادة واحدة في وقت واحد، وفي لحظة واحدة، فليكن هذا التوحيد بين القلوب كما هو في المظهر والصورة، «فأروا الله من أنفسكم خيرًا».

فرحم الله عبدًا بادر بالإقلاع عن السيئات، وواصل الإسراع والمبادرة في الأعمال الصالحات قبل انقطاع مدد الأوقات وطي صحائف المستودعات ونشر فضائح الجنايات، فلا تغتروا بحياة تقود إلى الممات فو ربِّ السماء والأرض إنما توعدون لآتٍ، فالبدار البدار قبل أن تتمنوا المهلة وهيهات.

قال الله تعالى: « حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ » (المؤمنون:٩٩-١٠٠).

فاللهم أعنا على صيام هذا الشهر وقيامه، وجُد علينا من رحمتك ورضوانك، وتكرم علينا بعفوك وغفرانك، واجعلنا من عتقائك من النار، إنك جواد كريم.



الاعتكاف.. أحكام وآداب

إعداد/ محمد عبد العزيز

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله... وبعدُ ؛

فالاعتكاف طاعة من أحب الطاعات المستحبة إلى الله تعالى.

قال الله تعالى: «وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ» (البقرة: ١٢٥).

تعريف الاعتكاف:

مادة عكف تأتي في اللغة لمعان منها:

- القيام على الشيء ولزومه.
- الحبس.
- الدوام.
- الإقبال على الأمر لا تنصرف عنه.

وزيادة المبنى في كلمة الاعتكاف، تدل على زيادة في المعنى الأصلي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والتاء في الاعتكاف تفيد ضرباً من المعالجة والمزاولة؛ لأن فيه كلفة». (شرح العمدة: ٢/٧٠٧).

والاعتكاف شرعًا: لزوم المسلم المسجد بنية مخصوصة، بصفة مخصوصة.

ويقال للاعتكاف المجاورة، وهو اسم شرعي وإن غلب الأول.

عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: «كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يصغي إلي رأسه وهو مجاور في المسجد فأرجله وأنا حائض». (رواه البخاري: ٢٠٢٨، ومسلم: ٧١٢).

قال الحافظ في الفتح (٤/٢٧٣): «ويؤخذ منه أن المجاورة والاعتكاف واحد».

حكمه:

والاعتكاف مشروع بالكتاب، والسنة، والإجماع قال تعالى: «وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ» (البقرة: ١٨٧).

وقد اعتكف النبي- صلى الله عليه وسلم- حتى توفاه الله، فلم يترك الاعتكاف قط في العشر الأواخر من رمضان، ولما تركه عامًا قضاه في شوال، وقد اعتكف في العام الذي قبض فيه عشرين يومًا.

فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: (كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يعتكف العشر الأواخر حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده) رواه البخاري (٢٠٢٦) ومسلم (١١٧٢).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في كل رمضان عشرة أيام؛ فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً) رواه البخاري (٢٠٤٤).

وقد نقل الإجماع على مشروعيته غير واحد من أهل العلم منهم: ابن المنذر، وابن حزم، وابن هبيرة.. قال ابن المنذر في كتابه الإجماع (ص ٥٣): «وأجمعوا على أن الاعتكاف سنة لا يجب على الناس فرضًا إلا أن يوجبه المرء على نفسه نذرًا فيجب عليه».

وقال الإمام أحمد فيما رواه عنه أبو داود: «لا أعلم عن أحد من العلماء إلا أنه مسنون».

فالاعتكاف مندوب على الصحيح طوال العام، ويتأكد ندبه في العشر الأواخر من رمضان، وأما الاعتكاف في غير رمضان فالجمهور على استحبابه، وذهب بعض أهل العلم إلى جوازه في غير رمضان، وقد نقل بعض

أهل العلم الإجماع عليه، وهو إجماع على أقل ما قيل فيه.

قال ابن عبد البر في الاستذكار (١٠/٢٧٣): «وأجمعوا أن سنة الاعتكاف المندوب إليها شهر رمضان كله، أو بعضه، وأنه جائز في السنة كلها، إلا ما ذكرنا».

وقد يجب الاعتكاف بإيجاب المرء على نفسه بالنذر، فإن نذر التبرر يجب الوفاء به.

والاعتكاف عبادة قديمة كانت في الأمم السابقة وهي من ملة إبراهيم- عليه السلام- قال الله- تعالى -: «وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ» (البقرة: ١٢٥).

محل الاعتكاف:

مكان الاعتكاف كل مسجد تقام فيه الجمع والجماعات على الصحيح لقوله- تعالى -: «وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ» (البقرة: ١٨٧). وذلك قول جمهور أهل العلم من السلف والخلف إلا من شذ منهم.

متى يدخل معتكف العشر المسجد؟

يدخل المعتكف المسجد قبل غروب شمس يوم العشرين من رمضان ليلة الواحد والعشرين.

وأما حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: «كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه» رواه البخاري (١٩٢٨)، ومسلم (١١٧٣). ففيه أنه دخل المعتكف بعد صلاة الفجر، والمراد به مكان الاعتكاف، وهو الخباء الذي كان يضرب له، ففي صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم اعتكف في قبة تركية. رواه مسلم (١١٦٧) .

وفي الحديث أنه- صلى الله عليه وسلم- قد كان موجودًا في المسجد قبل ذلك وقد صلى الفجر فيه.

ويدل لذلك أيضًا حديث أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه - ففيه أنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- «فمن كان اعتكف معي فليبت في معتكفه». رواه البخاري (٢٠١٨)، ومسلم (٢٨٢٦).

شروط الاعتكاف:

- الإسلام؛ وهو شرط لصحة الاعتكاف.
- التمييز.
- العقل.
- المسجد الجامع.
- النية وهي شرط للصحة.
- الطهارة من الحدث الأكبر على الصحيح.

وليس من شروطه على الراجح الصوم، لحديث ابن عمر أن عمر- رضي الله عنهما- قال: «يا رسول الله- صلى الله عليه وسلم -: إني نذرت أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام في الجاهلية. فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم -: فأوف بنذرك». رواه البخاري(٢٠٣٢)، ومسلم (١٦٥٦).

وليس الليل محلاً للصيام، وإنما النهار محله، ويؤخذ من هذا النص أيضًا جواز الاعتكاف أقل من يوم وليلة وأن الاعتكاف يتجزأ.

وأما قول ابن قيم الجوزية في (الزاد) (٢/٨٣): «ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اعتكف مفطرًا قط، بل قد قالت عائشة: «لا اعتكاف إلا بصوم».ولم يذكر الله سبحانه الاعتكاف إلا مع الصوم، ولا فعله رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلا مع الصوم. فالقول الراجح عند جمهور السلف: أن الصوم شرط في الاعتكاف، وهو الذي كان يرجحه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية». فهو محجوج بما سبق، وقد ورد أنه- صلى الله عليه وسلم- اعتكف في شوال. رواه البخاري (١٩٢٨) ومسلم (١١٧٣).

ويحتمل هذا أنه اعتكف أول يوم في شوال؛ فيكون هذا كالنص على أنه لا يشترط للاعتكاف الصوم، لأن صوم يوم العيد منهي عنه.

ويحتمل أنه صام بعده، فعندئذ نقول: ولم يثبت أنه كان صائماً في هذه الأيام التي اعتكفها، ولا أنه كان مفطرًا. غير أن هذه الأدلة تدل على استحباب الصيام للمعتكف.

وعلى هذا:

- يصح اعتكاف المعذور بالفطر في نهار رمضان كالمريض والمسافر، إن أخذ بالرخصة.

- يصح الاعتكاف في غير رمضان للمفطر.

مفسدات الاعتكاف:

- الخروج من المعتكف لغير حاجة، لأنه ينافي مقصود الاعتكاف.

- الحيض والنفاس بالنسبة للمرأة.

- الجماع لقوله تعالى: «وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» (البقرة: ١٨٧).

- الردة لقوله تعالى: «وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ» (المائدة ٥).

من آداب الاعتكاف:

١- إحياء الليل بالصلاة فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: «كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إذا دخل العشر أحيا الليل؛ وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر». رواه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (٢٨٤٤).

٢- تحري ليلة القدر؛ فقد كان هذا المقصد الأساس للنبي- صلى الله عليه وسلم- من الاعتكاف.

فعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يجاور في العشر التي في وسط الشهر فإذا كان من حين تمضي عشرون ليلة ويستقبل إحدى وعشرين يرجع إلى مسكنه ورجع من كان يجاور معه، ثم إنه أقام في شهر جاور فيه تلك الليلة التي كان يرجع فيها فخطب الناس فأمرهم بما شاء الله ثم قال: «إني كنت أجاور هذه العشر ثم بدا لي أن أجاور هذه العشر الأواخر فمن كان اعتكف معي فليبت في معتكفه، وقد رأيت هذه الليلة فأنسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر في كل وتر، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين».

قال أبو سعيد الخدري: مُطرنا ليلة إحدى وعشرين فوكف المسجد في مصلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فنظرت إليه وقد انصرف من صلاة الصبح ووجهه مبتل طينا وماء». (رواه البخاري: ٢٠١٨، ومسلم: ٢٨٢٦).

فأوتار العشر الأواخر من رمضان هي أرجى الأيام التي تطلب فيها ليلة القدر؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان».

٣- قراءة القرآن، والإكثار من ذلك، فقد قرن الله بين الصيام والقرآن فقال: «شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ» (البقرة:١٨٥).

وعن ابن عباس، قال: «كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله- صلى الله عليه وسلم- أجود بالخير من الريح المرسلة». رواه البخاري (١٩٠٢)، ومسلم (٢٣٠٨).

وعن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد. يقول الصيام: رب إني منعته الطعام والشراب بالنهار فشفعني فيه. ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه. فيشفعان». رواه أحمد (٦٦٢٦).

٤- أعمال البر والصدقة لحديث ابن عباس السابق، ولحديث عائشة وفيه قوله- صلى الله عليه وسلم -: «آلبرَّ تُردْن؟». والشاهد فيه أنه يراد بالاعتكاف أعمال البر.

٥- الكف عن فضول: الكلام- الطعام- والاجتماع لغير طاعة- (أمور الدنيا التي لا يحتاج إليها في معتكفه). قال ابن قدامة في المغني (١٤٦/٣): «فأما إقراء القرآن- وتدريس العلم ودرسه- ومناظرة الفقهاء ومجالستهم- وكتابة الحديث ونحو ذلك مما يتعدى نفعه فأكثر أصحابنا على أنه لا يستحب وهو ظاهر كلام أحمد، وقال أبو الحسن الآمدي: في استحباب ذلك روايتان.

واختار أبو الخطاب أنه مستحب إذا قصد به طاعة الله تعالى لا المباهاة، وهذا مذهب الشافعي؛ لأن ذلك أفضل العبادات ونفعه يتعدى فكان أولى من تركه كالصلاة.

مما يباح للمعتكف:

- الترجل، والتنظف، والتزين؛ لحديث عائشة: أن النبي- صلى الله عليه وسلم- «كان إذا اعتكف يدني إلي رأسه أرجله، وكان لا يدخل بيته إلا لحاجة الإنسان». رواه البخاري (١٩٢٤)، (١٩٢٦) ومسلم (٢٩٧).

قال الحافظ في الفتح (٨٠٧/٤): «وفي الحديث جواز التنظيف والتطيب والغسل والحلق والتزين إلحاقاً بالترجل، والجمهور على أنه لا يكره فيه إلا ما يكره في المسجد».

- جواز الخروج ببعض البدن للحديث السابق، ففيه بيان أن إخراج المعتكف لبعض بدنه ليس خروجًا من المعتكف.

- الخروج للحاجة- كالطعام والشراب والتخلي- للحديث السابق ففيه: (وكان لا يدخل بيته إلا لحاجة الإنسان). ومفهومه جواز الخروج للحاجة.

- صحبة أهله إذا زاروه فيقلبهم إلى مأمنهم، ففي الصحيحين عن علي بن حسين عن صفية بنت حيي قالت: «كان النبي- صلى الله عليه وسلم- معتكفا فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت لأنقلب فقام معي ليقلبني. وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد؛ فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي- صلى الله عليه وسلم – أسرعا. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: على رسلكما إنها صفية بنت حيي. فقالا: سبحان الله يا رسول الله- صلى الله عليه وسلم-. قال: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى؛ الدم واني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًا. أو قال: شيئًا». رواه البخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (٢١٧٥).

قال الحافظ في الفتح (٢٨٠/٤): «وفي الحديث من الفوائد:- جواز اشتغال المعتكف بالأمور المباحة من تشييع زائره والقيام معه والحديث مع غيره.- وإباحة خلوة المعتكف بالزوجة- وزيارة المرأة للمعتكف- وبيان شفقته- صلى الله عليه وسلم- على أمته- وارشادهم إلى ما يدفع عنهم الإثم.- وفيه التحرز من التعرض لسوء الظن- والاحتفاظ من كيد الشيطان والاعتذار».

هل يجوز للمعتكف الخروج لبعض الطاعات كعيادة مريض أو شهود جنازة؟

الجواب: لا يجوز للمعتكف الخروج من معتكفه لزيارة المريض، أو شهود الجنازة؛ لحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «السنة على المعتكف ألا يعود مريضًا، ولا يشهد جنازة، ولا يمس امرأة، ولا يباشرها، ولا يخرج لحاجة إلا لما لابد منه، ولا اعتكاف إلا بصوم، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع». (رواه أبو داود: ٢٤٧٥).

أما إذا كان المريض ذا رحم، ويخشى موته ففي عدم زيارته قطيعة للرحم، وقد جوز بعض أهل العلم عيادة المريض، وشهود الجنازة، وفعل العبادات التي لا تنافي الاعتكاف مما يحتاج معه إلى الخروج مطلقًا إذا اشترط ذلك في أول الاعتكاف، وفيما قالوه تأمل.

متى يخرج المعتكف من معتكفه؟

للمعتكف ثلاثة أحوال:

الأول: أن يريد اعتكاف الأيام والليالي، فهذا يدخل قبل غروب الشمس إلى معتكفه، ثم لا يخرج منه إلا بعد غروب شمس آخر يوم أراده.

الثاني: أن يريد اعتكاف الأيام فقط، فهذا يدخل معتكفه مع طلوع الفجر الصادق، ويخرج منه بعد غروبها.

الثالث: أن يريد اعتكاف الليالي دون الأيام، فهذا يدخل المعتكف قبيل غروب الشمس، ويخرج منه بعد طلوع الفجر الصادق.

قال الحافظ في الفتح (٣٥٦/٤): «وهو محمول- يعني حديث أبي سعيد الخدري- على أنه أراد اعتكاف الليالي دون الأيام، وسبيل من أراد ذلك أن يدخل قبيل غروب الشمس ويخرج بعد طلوع الفجر، فإن أراد اعتكاف الأيام خاصة فيدخل مع طلوع الفجر ويخرج بعد غروب الشمس، فإن أراد اعتكاف الأيام والليالي معاً فيدخل قبل غروب الشمس ويخرج بعد غروب الشمس أيضًا».

نسأل الله أن يتقبل أعمالنا ويصلح أحوالنا، والحمد لله رب العالمين.



واقع المسلمين وكيفية تغييره

إعداد/ الشيخ / سعود الشريم

الحمد لله، الحمد لله الرحيم ﴿ الرَّحْمَٰنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (الرحمن: ١-٤)، له مقاليدُ السماوات والأرض - سبحانه - كل يوم هو في شأن، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه سيِّد ولد آدم أجمع، وخيرُ من صلَّى لله وركَع، وأبلغُ من دعا إلى الله فأسمَع، صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه، وعلى آل بيتِه الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجِه أمهاتِ المُؤمنين، وعلى الصحابة والتابعين، ومن تبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فأُوصِيكم - أيها الناس - ونفسي بتقوَى الله - سبحانه -؛ إذ بها المغنَم، وعليها المُعوَّل والمُعتصَم، ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ⑥٢ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ⑥٣ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (يونس: ٦٢- ٦٤).

أيها المسلمون!!

إن الهيمَنَة لنَزعَة الشهوة والأثَرَة، وحبِّ الدنيا وكراهية الموت، قد ولَّدَت في كوامِن كثير من المُجتمعات المُسلمة قِسطًا وافرًا من القُنوط واليأس، وذَوَبان الأمل، والشعور المُستحكِم بأن سيادتَها في الأرض وريادتَها فيهما نوعُ استِحالة تجعلُ القناعةَ بمثلِ ذلكم لونًا من ألوان الرِّضا بالواقِع، والاستِسلام للمُستجدَّات والمُدلهِمَّات أيًّا كان نوعُها، حتى لو كان فيها ظُلمُ الإنسان وقهرُه، وإهدارُ كرامته، ومحوُ هويَّته.

مع أن حقيقةَ الإسلام وواقِعَه يُؤكِّدان أنه لا انفِصال بين العمل للدنيا والعمل للأخرى، وأن ليس ثمَّة تغليبٌ للجسَد على حساب الروح، ولا للروح على حساب الجسَد. إنما هناك تنظيمٌ دقيقٌ يجعلُ همَّة الإنسان المُسلم والمُجتمع المُؤمن في أن يتولَّى القيادة ويُمسك بالزِّمام، فلا هي رهبانيَّة تقتُلُ نداءَ الفطرة والجِبِلَّة، ولا هي ماديَّة جوفاء، وأفئدةٌ هواء، تتجاهلُ سناءَ الروح وتطلُّعاتها إلى الرِّفعة والتمكين.

وهذا الحقُّ - عباد الله - هو ما يجبُ أن يعرِفَه عامَّةُ المُجتمعات المُسلمة بجلاءٍ ووضوح، وأن تبُحَّ له حناجرُ الباحثين عن الصالح العامِّ لأمَّتهم ومُجتمعاتهم؛ فإن الله - جل وعلا - سخَّر آفاق السماء، وفِجاجَ الأرض، وجعلَها في خدمة الإنسان؛ ليعمُر أرضَه، ويخلُف فيها بالإصلاح والعبودية له وحده، وليكون عزيزًا مُطاعًا، لا ذليلاً مُهانًا، وليكون متبُوعًا من قِبَل أمم الأرض، لا تابعًا.

فإن الله - سبحانه وتعالى - قد قال: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا

﴿ هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ (لقمان: ٢٠).

ولذا - عباد الله - فإن هذا التسخيرَ الإلهيَّ لم يكن عبثًا بلا حكمة، ولا نعمةً لا تقتضي شكرًا يُشاهَدُ على أرضِ الواقع، من خلال إقامة شرع الله في أرضه، وإعلاء كلمته لتكون هي العُليا على هذه البسيطة، ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (الزمر: ٧).

ومن هذا المُنطلَق - عباد الله - كان لزامًا على أمة الإسلام أن تُدرِكَ أمرَين جدُّ عظيمَين، تحملُ عليهما الضرورةُ تارةً، ويهدي إليهما الدينُ تاراتٍ أخرى؛ بل كلٌّ منهما يستلزِمُ الآخر ويستصحِبُه استصحابًا حثيثًا.

والأمران - عباد الله - هما: التآخي والائتلاف بلا تفرُّق واختلاف، وعلوُّ الهمَّة لبلوغ الأرَب في الرِّفعة والزِّيادة، دون استكانة أو خُنوعٍ لغير الله - سبحانه وتعالى -. بهذين الأمرَين - عباد الله - تنمُو الأمم، فتعظُم فتسُود ما شاء الله أن يحيَا فيها هذا الأمران.

وإنه متى رُئِيَ من أمة الإسلام مَيلٌ صادقٌ إلى الوحدة والتمكين؛ فإن العاقِبَة لها ما من ذلك بُدٌّ، فتلك هي السنةُ الكونية والدينية.

ومن تصفَّح تاريخَ الأمم والشعوب، وتأمَّل واقعَها من خلال كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، ومصادر التأريخ المُسطَّرة؛ وجدَ أن حظَّ الأمم والشعوب من الوجود على مقدار حظِّها من الوحدة، ووجدَ مبلغَها من العلوِّ والهيمَنة على قدرِ تطلُّعها إلى التمكين في الأرض لإثبات وُجودها.

ولوَجَد أيضًا أنه ما انحرَفَ قومٌ عن بُلوغ ما ذُكِر، فألهَاهم بما بين أيديهم، وأوقَفَهم على أبواب ديارهم ينتظرون طريقَهم بالسوء، إلا بعد ما رُزِئُوا بالاختلاف والافتراق، ودنُوِّ الهمَّة، والحطَّة، والشِّقاق، والرِّضا بالحياة الدنيا من الآخرة، ﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (التوبة: ٣٨).

الاتِّحادُ والاتفاقُ والائتلاف - أيها المسلمون - يُحدِثُه شعورُ كل فرد من أفراد أمة الإسلام، بما ينفعُها وما يضُرُّها. شعورٌ يبعَثُ كلَّ واحد منَّا على التفكُّر في أحوال أمَّته، ويجعلُ لهذا التفكُّر جُزءًا من زمنه وهمِّه، وألا يكون هذا التفكُّر أقلَّ من همِّه بمعاشه ورزقه، فضلاً عن أن يكون مُجرَّد تفكُّر لا يُجاوِزُ جُدرانَ مُخيِّلة المرء نفسه؛ بل تفكُّرٌ يتبَعُه عمل، وعزيمةٌ يخلُفُها إصرار.

ولهذا جاء حثُّ النبي - صلى الله عليه وسلم - على التماسُك والتآخي بين المُؤمنين، وذلك في قوله - صلوات الله وسلامُه عليه -: «المؤمنُ للمُؤمن كالبُنيان يشُدُّ بعضُه بعضًا» - ثم شبَّك بين أصابِعه - صلواتُ الله وسلامُه عليه - (رواه البخاري ومسلم).

وفي مثل قوله - صلى الله عليه وسلم -: «مثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم مثَلُ الجسَد، إذا اشتكَى منه عضوٌ تداعَى له سائرُ الجسَد بالسَّهر والحُمَّى» (رواه مسلم).

ففي الحديث الأول: جعلَ موضع المُسلم بين إخوانه المُؤمنين كالبُنيان، الذي لا يقومُ بعضُه إلا على البعضِ الآخر، من خلال تراكُم اللَّبِنات وتشابُكها.

وفي الحديث الآخر: أنزلَ المؤمنَ من أخيه منزلةَ أحد الأعضاء في الجسَد، إذا مسَّه ألَمٌ استنفَرَت بسببه سائرُ الأعضاء.

فلله! أيُّ تشبيهٍ للأُخُوَّة أعظمُ من هذا التشبيه، الذي نطقَ به من أوتِي جوامعَ الكلم - بأبي هو وأمي - صلواتُ الله وسلامُه عليه -؟!

إن هذا الترابُط والتآخي، والحضَّ عليه من قبَل الشارع الحكيم، لم يُترَك هكذا دون سياجٍ يُحاطُ بتحذيرٍ وتخويف؛ بل أُتبِعَ بالنهي عن ضدِّه، وهو: الاختلاف، والتدابُر، والخروجُ من دائرة المؤمنين الجامعة؛ حيث توعَّد الله الواقع في ذلكم بقوله: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ١١٥).

هذا هو موقفُ الدين الإسلاميِّ من العُنصر الأول، الذي هو عنصرُ الائتلاف والتآخي المُوافقَين للهدي السماوي الإلهيِّ.

وثمَّ عنصرٌ آخر - عباد الله -، وهو: عنصُر الهمَّة نحو بلوغ العزَّة والرِّفعة والتمكين في الأرض، من خلال السعي الصادق لبثِّ دين الإسلام والتمكين له، والإعلاء لكلمة الله في أرضه، وعمارتها بالعدل والقسط.

وإن آيات القرآن وأحاديث النبي - صلى الله

عليه وسلم - حافلةٌ بذكر ذلكم، داعيةً إليه، جاهرةً بالحضِّ عليه، حاظرةً عليهم أن يستكينوا أو يتخاذلوا أو يتوانَوا في المفروض والقيام به.

إن كل الرَّزايا التي تحلُّ بأقطار المُسلمين وتضعُ من أقدارهم ما كان قاذفهم ببلائها، وراميهم بسهامها إلا افتراقهم وتدابُرهم، الذي نهاهم الله عنه، ونهاهم عنه رسوله - صلى الله عليه وسلم.-

ولو أنهم أدَّوا تلك الحقوق التي تُطالبُهم بها كلمةُ الله العُليا، وتطمئنُّ قلوبُهم بذكرها، لما كان للغريب مجالٌ لأن يُمزِّق شملَهم كلَّ مُمزَّق، أو أن يُفرِّقهم شذَر مذَر، أو أن يُلمِع سلاحَه عُدوانًا وظُلمًا في وجوههم، بعد أن كانت أقدامُهم في صياصي أعدائهم، وأيديهم على نواصيهم رَدحًا من الزمن.

هل يودُّ المُسلمون أن يعمُروا مئات السنين في الضعف والدُّون، وهم يعلَمون أن ازدراء الحياة وزُخرفها والزُّهد فيها هو دليلُ النفس المؤمنة؟!

أيرضَى المُسلمون وقد كانت كلمتُهم هي العُليا، أن يُضربَ عليهم الخوف والجوع، وأن يُقذَف في قلوبهم الرُّعب، وتبلُغ قلوبُهم الحناجر، ويظنُّون بالله الظُّنُونا؟!

وأن يستبدَّ في ديارهم وأموالهم وأرضهم التي استنشَقُوها من هو أجنبيٌّ عنهم دينًا وخُلُقًا وسياسةً، أو من لا يرقُبُ فيهم إلاًّ ولا ذمَّة؛ بل أكبرُ همِّه العبَثُ والتشريدُ والتفريقُ، والقتلُ والظُّلمُ، حتى يُخليَ منهم أوطانَهم التي خُلقوا فيها، وربَوا على ثراها، ثم يضرب القُرعة بين المُقتسمين أرضَهم وأموالَهم.

إن الوحدة والتطلُّع إلى الغلَبة، وصدقَ الرَّغبة في حفظ حوزَة الإسلام، كلُّها صفاتٌ كامنة في نفس كل فردٍ وكل مُجتمع مُسلم، إلا من شاء الله. بَيْدَ أنهم دهاهم ما يُلهيهم عن استصحاب ذلكم واستصحاب حُكمه، فذُهلوا عن سماع أصوات الساعين إلى العدل والحقِّ، فسَهَوا وما غوَوا، وزلُّوا وما ضلُّوا، ولكنهم دُهشُوا وتاهُوا وسطَ زوابع الدنيا وزخارفها وأطيافها الزائلة، حتى أصبَحوا يطلُبُون العونَ وهو معهم، ولكنهم لا يهتَدون إليه سبيلاً، فصاروا

كالعيس في البيداء يقتُلها الظَّما
والماءُ فوقَ ظُهورها محمولُ

إن علينا جميعًا أن نُدرك حجمَ عداوَة من لا يُحبُّنا، ولا يهمُّه أمرُنا، كما أن علينا جميعًا أن نُدرك السُّبُل والوسائل التي يتربَّص بها عدوُّنا، وأن نُذكيَ محلَّها الوسائل الإيجابيَّة، مع الرجوع إلى الله، والألفة، والعزيمة، والتغلُّب على الهوَى والرغبة الشخصية، وتقديم مصلَحة الإسلام والمُسلمين على كل مصلحة دونَها، (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ) (آل عمران: ١٤٧، ١٤٨).

إن إدراكَ حجم الوسائل التي يُحاربُنا بها أعداءُ بُلدانِنا أو ديننا أو ثقافتنا، لهو من الضرورة بمكانٍ، وألا يضيقَ فهمُنا وإدراكُنا على تفسير قوَّتهم وغلبَتهم بوسيلة الحرب فحسب؛ كلا، فتلك نظرةٌ ضيقة، وفهمٌ قاصر لهذا الواقع المؤلم.

بل لقد تعدَّى مدى الوسائل حتى شمَلَ آفاقًا مُتعدِّدةً، نراها ماثلةً في الثقافة، والمشاعر، والإعلام، والفكر. بل لقد أصبحت الكلمةُ والصورةُ والخبرُ والصحيفةُ والبثُّ الفضائيُّ أدقَّ الوسائل إلى غاياتهم المرسُومة؛ إذ تفتك بالأمة فتكَ السِّهام بلا قوس ولا وتَر، فتطعنُ بغير سكِّين، وتقتُل بغير سلاح، وتأسر بلا حرب، وتحكُم بلا مبدأ.

إذا كانت هذه هي وسائلهم السلبيَّة.. فأين نحن من الوسائل الإيجابيَّة؟! وإذا كانت هذه هي هِمَمهم الدَّؤوبة.. فلماذا همَمنا خواء، وغاياتُنا هواء، وعزائمُنا غُثاء؟! لما تمسُّ أصابعُهم الأشياء فتنجح، وتمسُّها أصابعُنا فتضطرب؟!

إن مُستقبَل المُسلمين ينبغي أن يُزرَع في بلادهم وعلى أرضهم، بأخلاقهم، وفكرهم، وقوَّتهم، وأن يكفُّوا عن صفات التسوُّل بكل صُنُوفه في طاقاتهم وإعلامهم وثقافتهم، وألا يضيعُوا في تيه العقل الذي يشحَذ ولا يُؤسِّس! فيُنحَّى حينئذٍ عن القيادة والرِّيادة قسرًا، ولاتَ ساعةَ حيلة.

ولقد صدقَ الله - جل شأنُه -: (وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ) (آل عمران: ١٣٩، ١٤٠).

وآخر دعوانا أن رب العالمين.



حِلْمُ الصائمين وصَبرهم

إعداد/ د. جمال عبد الناصر

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

الصيام جُنَّة للمسلم، فهو يربّي النفس على العفة، وضبط اللسان، وعدم الانجرار وراء المثيرات المسببة للانفعال ليل نهار، وكذلك عدم الخوض في التوافه التي تُهدر الطاقة وتضيّع الوقت وتذهب ببهجة النفس وبهائها، فأيها الصائم يا مَنْ عقدتَ العزم والنية على صوم الشهر الفضيل عليكَ أن تتوقف عن الانفعال الشديد الذي أحيانًا ما يسبب لك مشكلات مع المحيطين بك، سواء في دائرة الأسرة والأصدقاء أو في دائرة العمل.

أخي الصائم -جعلنا الله وإياك من عتقاء رمضان- هوِّن عليك واصبر واستعن بالله فأنت في شهر الصبر، فلتصبر ولتحتسب، آخذًا من رمضان درسًا أخلاقيًا في كظم الغيظ وضبط النفس والتخلق بالأخلاق الحسنة، ومن هنا لا بد أن نوضح عدة أمور متعلقة بالصيام:

أولاً: الهدف من الصيام:

لقد بيّن الله -عز وجل- الهدف من الصوم فقال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (البقرة: ١٨٣)، والتقوى في النهاية هي الالتزام بشرع الله تعالى عمومًا، وهي تفصيلاً الخوف من الجليل، والرضا بالقليل، والعمل بالتنزيل؛ والاستعداد ليوم الرحيل، كما عرفها سيدنا علي -رضي الله عنه-.

وإن من وسائل تحقيق التقوى أن يتخلق المسلم بالأخلاق الحميدة، وشريعتنا الغراء تحثنا على التخلق بالأخلاق الكريمة، فلا بد من ترك الغضب، وعدم السماح لأي شخص أن يجرنا إلى الغضب وسوء الخلق؛ لأن الهدف من الصوم هو التمسك بالأخلاق الحسنة، والوصول إلى مرحلة ضبط النفس والتحكم فيها، وقد علّمنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تجنب ما يفسد صومنا من الأخلاق السيئة، فقال: "الصوم جُنّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم" (متفق عليه)، والرفث من معانيه أن يتكلم الشخص بكلام بذيء سيئ فاحش، فعلى كل صائم ألا يقع في ذلك، وأن يتجنب الكذب، وكذلك الغيبة والنميمة.

وقد حثّ نبينا -صلى الله عليه وسلم- الصائمين على التمسك بالأخلاق الكريمة، فقال -صلى الله عليه وسلم-: "فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل إني صائم"، بمعنى أن الصائم إذا استفزه أحد عليه أن يقابل ذلك بالتسامح، فالصوم جُنّة لنا من الوقوع في الزلل، ومن

لم يلتزم ذلك فقد ضيَّع صومه هباء وأفقده جوهره والهدف الأسمى منه وحقَّ فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش". ابن ماجه وصححه الألباني.

ولنتذكر دائمًا أن هدف الصوم الأسمى هو تقوى الله عز وجل، والذي يصوم ينبغي له أن يتحلى بالأخلاق الكريمة التي بُعث بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حيث قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". رواه البيهقي وصححه الألباني.

ثانيًا: الصوم نوعان:

قد وضح لنا العلامة أبو حامد الغزالي -رحمه الله- أن الصوم نوعان: صوم العوام وصوم الخواص، أما صوم العوام فهو الامتناع عن الطعام والشراب والشهوة، وأما صوم الخواص فهو صيام الجوارح عن الحرام، كأن يصوم اللسان عن النطق بحرام، وأن تصوم العين عن رؤية الحرام، وأن تصوم الأذن عن سماع الحرام، وأن تصوم اليد أن تلمس حرامًا، وأن تصوم الرجل أن تسير إلى حرام... إلخ.

ثالثًا: أخلاق المسلم الصائم:

إن من صفات المسلم أنه ليس بالسباب ولا باللعان ولا بالفاحش البذيء، هكذا يقول حبيبنا الله -صلى الله عليه وسلم-: "ليس المؤمن بالسباب ولا باللعان ولا بالفاحش ولا البذيء" (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - كتاب الإيمان).

لا بد إذن أن نعي أن الصيام طهرة للسان كي يعتاد على إتيان الخير والنطق بالكلام الطيب، والصائم لا بد له أن يتحلى بالأخلاق الكريمة من حلم وعفو وصفح وإعراض عن الجاهلين؛ فإن الصوم هو ما يحملنا على كل ذلك، لا بد لنا أن نعلم أن ديننا يدعو كل مسلم منا إلى التحلم في أموره والترفق في شتى أحواله، ولذا يقول المولى جل وعلا: «وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (فصلت:٣٤-٣٦).

هناك مواقف صعبة، قد تدفع بالإنسان إلى نزاع أو شجار أو قتال، ولكن بالحلم والرفق والسماحة والعفو وحسن الخلق، نخرج من تلك المواقف وصدق سيد البشر حيث قال: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"، وقال: "من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه يأتي الله عز وجل به على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء"، فالمؤمن يسمع الأقوال السيئة لكنه يقابلها بعقل وطمأنينة وحلم، ولا تستفزه مثل هذه الأمور ولا تزعجه، ولنذكر قول الله تعالى: «وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا» (الفرقان:٦٣)، ومن صفات المتقين: «وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» (آل عمران:١٣٤)، «وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ» (الشورى:٣٧)، فما أحوج الصائمين أن يكونوا كذلك!!

ولذا يقول النبي الكريم عن الصائم: "فإن أحد سابه أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم"، فالامتناع عن الرد ليس لخوف أو ضعف ولكن تخلقًا وتقية وتنزها وسموًا، وليكن لك في رسول الله أسوة حسنة فمن صفاته أنه كان لا تزيده شدةُ الجهل عليه إلا حلمًا، ورحم الله من قال:

يُخاطبني السفيه بكل قُبح
فأكره أن أكون له مجيبًا
يزيدُ سفاهةً فأزيد حلمًا
كعُود زادهُ الإحراقُ طيبًا

فلترتقِ أخي الصائم آخذًا من رمضان درسًا أخلاقيًّا عظيمًا في كيفية ضبط النفس وملكها وعدم التهور والانسياق وراء الشيطان لحظة الغضب بالذات، ولتدرب نفسك على الصبر الذي هو أعظم درس من دروس الصيام.

فإذا ما علاك الغضبُ وضعفت نفسك عن كظمه فقم فتوضأ وصلِّ لله ركعتين، أو اجلس لو كنتَ واقفًا أو اضجع لو كنتَ جالسًا أو غير مكان مجلسك، واستعن بالله ولا تعجزْ، اللهم اجعلنا من عتقاء رمضان وتقبل منا صيامه وقيامه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

رمضان شهر الدعاء

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦).

صيام رمضان برؤية الهلال أو إكمال العدة

عن محمد بن زياد قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم أو قال: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غمي عليكم فكملوا عدة شعبان ثلاثين". (صحيح البخاري).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

الجود والكرم

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن: فإذا لقيه جبريل عليه السلام، كان أجود بالخير من الريح المرسلة. (البخاري حديث ١٩٠٢، ومسلم حديث ٢٣٠٨).

فضل تفطير الصائمين

عن زيد بن خالد الجهني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً" (سنن الترمذي).

رمضان شهر العتق من النار

عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كانت أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن؛ وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب؛ وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب؛ ونادى مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر؛ ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة". (سنن ابن ماجه وصححه الألباني).

في السحور بركة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً. (البخاري حديث ١٩٢٣، ومسلم حديث ١٠٥٩).

حكم من أكل ناسياً

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: "من أكل أو شرب ناسيا فلا يفطر فإنما هو رزق رزقه الله". (سنن الترمذي).

إعداد/ علاء خضر

رمضان شهر التربية

عنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. (البخاري حديث:١٩٠٤، ومسلم حديث:١١٥١).

من السنة
الاجتهاد في العشر الأواخر

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره. (مسلم ١١٧٥).

حقيقة الصيام

عن الشعبي قال: قال عمر: "ليس الصيام من الطعام والشراب وحده، ولكنه من الكذب والباطل واللغو والحلف". (المصنف).

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنا معشر الأنبياء أُمرنا أن نعجّل إفطارنا ونؤخر سحورنا ونضع أيماننا على شمائلنا في الصلاة" (صحيح الجامع ٢٢٨٦).

دعاء ليلة القدر

عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: "قولي: اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني". (الترمذي ٣٥١٣ وصححه الألباني).

الكتب السماوية نزلت في رمضان

عن واثلة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان. (صحيح الجامع)

لا تحرم نفسك المغفرة

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يُغفر له" (الترمذي ٣٥٤٥ وصححه الألباني).

فضل ليلة القدر

عن أنس بن مالك قال: دخل رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا كل محروم (يعني ليلة القدر) (سنن ابن ماجة).



نظرات أصولية وفوائد في آيات الصيام

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

هذه بعض نظرات أصولية وفوائد في آيات الصيام، عسى الله تعالى أن ينفع بها.

أولا: قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ١٨٣).

في الآية: حكم شرعي، إجمال، تشبيه، وحكمة.

١- الحكم الشرعي: في قوله تعالى: (كتب عليكم الصيام) وهو حكم تكليفي بالأمر والحكم الشرعي ينقسم إلى قسمين:

أ- حكم تكليفي ب- حكم وضعي.

الحكم التكليفي هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير، وأقسامه خمسة: الواجب، المستحب، الحرام، المكروه (وهذا هو الاقتضاء)، والمباح (وهو التخيير).

والحكم الوضعي: هو خطاب الله المتعلق بجعل الشيء سببا لشيء أو شرطا له أو مانعا منه؛ أو كونه صحيحا أو فاسدا أو رخصة أو عزيمة، أو أداء أو إعادة أو قضاء. أو هو باختصار (ما لا يرد فيه اقتضاء أو تخيير)، ومعنى الوضع: أن الشرع وضع أمورا سميت أسبابا وشروطا وموانع... إلخ تعرف عند وجودها أحكام الشرع من إثبات أو نفي، فالأحكام توجد بوجود الأسباب والشروط وتنتفي لوجود الموانع.

مثال ذلك: وجوب الزكاة: إذا وجد النصاب كان هو السبب الموجب لأدائها. وإذا مر الحول (على الزكوات التي يشترط لها الحول)، فهو الشرط الموجب لأدائها وإذا وجد الدَّين، فهو مانع من وجوبها (وهذه فيها خلاف) (انظر روضة الناظر وهامشها لابن قدامة ت ٦٢٠هـ، ١/١٧٥، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول للإسنوي ت ٧٧٢هـ، ١/١١٦، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة للجيزاني ٢٨٧-٢٨٨).

٢- الأمر في قوله تعالى (كتب عليكم الصيام):

فرضه الله تعالى وأمر به، وهذه صيغة من صيغ الأمر.

وصيغ الأمر تنقسم إلى قسمين: صيغ أمر أصلية، وهي أربع:

أ- فعل الأمر (أَقِمِ الصَّلَوٰةَ) (الإسراء: ٧٨).

ب- الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) (النور: ٦٣).

ج- اسم فعل الأمر (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ) (المائدة: ١٠٥).

د- المصدر النائب عن فاعله (فَضَرْبَ الرِّقَابِ) (محمد: ٤).

وصيغ أمر غير أصلية، وتدل على الأمر عند الجمهور: مثل التصريح بلفظ الأمر: آمركم، أمرتكم أو التصريح بالإيجاب أو الفرض أو الكتابة، ولفظة حق على العباد وعلى المؤمنين، وكذا ما فيه ترتيب الذم والعقاب على الترك أو إحباط العمل بالترك ونحو ذلك، واستدلوا بإجماع أهل اللغة على تسمية ذلك أمرًا (انظر الأصول من علم الأصول لابن عثيمين ت ١٤٢١هـ، صـ ٢٣، ٢٤، ومعالم أصول الفقه للجيزاني ص ٤٠٥).

واعلم أن صيغ الأمر: هي الألفاظ الموضوعة للدلالة على طلب الفعل على وجه الحتم واللزوم، سواء كانت الدلالة مستفادة من قبل اللغة أو الشرع (المطلق والمقيد لحمد بن حمدي الصاعدي ص٥٢٠).

٣- الإجمال في قوله تعالى: (كتب عليكم الصيام): أي كتب عليكم جنس الصيام المعروف، وقد كان العرب يعرفون الصوم، فقد جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يوم عاشوراء يوما تصومه قريش في الجاهلية، وفي بعض الروايات قولها: وكان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يصومه (انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ت ١٣٩٣ هـ ١٥٥/٢) - والصيام هنا مجمل وتفصيله سيأتي في الآيات التالية.

٤- التشبيه في قوله تعالى: (كما كتب على الذين من قبلكم): هذا تشبيه في أصل فرض ماهية الصوم لا في الكيفيات، والتشبيه يكتفى فيه ببعض وجوه المشابهة، وهو وجه الشبه المراد في القصد، وليس المقصود من هذا التشبيه الحوالة (الإحالة) في صفة الصوم على ما كان عليه عند الأمم السابقة، والغرض من التشبيه هنا:

ا- الاهتمام بهذه العبادة، والتنويه بها لأن الله شرعها قبل الإسلام، وشرعها للمسلمين، مما يؤدي إلى إنهاض همم المسلمين للقيام بهذه العبادة، كي لا يتميز بها من كان قبلهم.

ب- أن في التشبيه بالسابقين تهوينا على المكلفين بهذه العبادة حتى لا يستثقلوها، وقد أكد هذا المعنى الضمني قوله بعده (أياما معدودات).

ج- إثارة العزائم للقيام بهذه الفريضة حتى لا يكونوا مقصرين في قبول هذا الفرض، بل ليأخذوه بقوة تفوق ما أدى به الأمم السابقة (انظر التحرير والتنوير ١٥٦/٢ - ١٥٧).

٥- الترجي والحكمة في قوله تعالى: (لعلكم تتقون): أما الترجي ففي قوله تعالى: (لعلكم) أي رجاء أن تحصلوا التقوى، وبيان لحكمة الصيام وما لأجله شرع.

ثانيا: قال الله تعالى: (أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة: ١٨٤)، وفي الآية جمع قلة، رخصة، نسخ

١- جمع القلة في قوله تعالى: (أياما معدودات) هي شهر رمضان عند جمهور المفسرين، وإنما عبر عن رمضان بأيام وهي جمع قلة، ووصف بمعدودات، وهي جمع قلة أيضا تهوينا لأمره على المكلفين.

٢- الرخصة في قوله تعالى: (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر)، وجاءت الرخصة في هذه الآية بعد العزيمة في الآية السابقة في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام)، والرخصة والعزيمة من الحكم الوضعي لارتباطهما بالسبب والشرط والمانع، ومن العلماء من جعلهما من الحكم التكليفي لما فيهما من معنى "الاقتضاء"؛ حيث ينتقل الحكم من النهي إلى الإباحة ومن المطلوب فعله طلبا جازما إلى جواز الفعل والترك (انظر روضة الناظر وهامشه ١٨٨/١).

تعريف العزيمة: هي الحكم الثابت بدليل

شرعي خال عن معارض راجح؛ فشمل الأحكام الخمسة (الواجب، المندوب، المباح، المكروه، الحرام)، لأن كل واحد منها حكم ثابت بدليل شرعي (والمسألة فيها خلاف) انظر شرح الكوكب المنير ٤٧٦/١) - (وفي قوله خالٍ عن معارض راجح احتراز عما يثبت بدليل لكن ذلك الدليل معارض مساو أو راجح، لأنه إن كان المعارض مساويا لزم الوقف وانتفت العزيمة ووجب طلب المرجح الخارجي، وإن كان راجحًا لزم العمل بمقتضاه وانتفت العزيمة وثبتت الرخصة، مثال ذلك: تحريم الميتة عند عدم المخمصة (شدة الجوع) فهو عزيمة لقوله تعالى: (حرمت عليكم الميتة) لأنه حكم ثابت بدليل شرعي خالٍ عن معارض. فإذا وجدت المخمصة حصل المعارِض لدليل التحريم وهو راجح عليه وهو قوله تعالى: (فمن اضطر في مخمصة)؛ حفظًا للنفس؛ فجاز الأكل وحصلت الرخصة لأن مصلحة إحياء النفس والمحافظة عليها مقدمة على مفسدة الميتة وما فيها من الخبث).

الرخصة: هي الحكم الثابت على خلاف الدليل، أو هي تغير الحكم الشرعي إلى سهولة لعذر مع قيام السبب للحكم. (والرخصة لا تثبت إلا بالدليل) (انظر شرح الكوكب المنير لابن النجار الحنبلي ت ٩٧٢هـ،٤٧٩/١-٤٨٠، تلخيص الأصول لحافظ سناء الله الزاهدي صـ ٢٩، الجامع لمسائل أصول الفقه د.عبد الكريم النملة صـ ٧٩).

وقد جاءت الرخصة في الآية قبل بيان باقي أحكام الصيام لتطمئن نفوس السامعين لئلا يظنوا وجوب الصوم عليهم في كل حال (انظر التحرير والتنوير ١٦٢/٢).

٣- النسخ في قوله تعالى: (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) فهل الآية منسوخة أم ليست منسوخة؟:

أولا ما هو النسخ: هو رفع الحكم الثابت بخطاب شرعي متقدم بخطاب شرعي متراخ عنه. مثل: أن الله سبحانه قد حكم بأن عدة المتوفى عنها زوجها حول كامل (سنة)، وذلك بخطاب شرعي وهو قوله تعالى (متاعا إلى الحول غير إخراج) وبعد ذلك بزمن رفع هذا الحكم بخطاب متأخر عنه، وهو قوله تعالى: يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) (انظر الجامع لمسائل أصول الفقه د. عبد الكريم النملة صـ ١٤١).

ثانيا: هل وقع نسخ في الآية أم لا؟ يقول الشنقيطي: "فإنه لما كان الإمساك عن شهوة الفرج والبطن شاقا على النفوس، وأراد تعالى تشريعه شرعه تدريجا فخير أولا بين صوم اليوم وإطعام المسكين في قوله (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين)، فلما استأنست النفوس به في الجملة أوجبه أيضا إيجابا عاما جازما بقوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) (أضواء البيان للشنقيطي ت ١٣٩٣هـ، ٢٦٤/٥).

والجمهور على أن الآية منسوخة ومعناها: (الذين يطيقونه): أي يتحملون صومه فيكون المعنى: وعلى الذين يتحملون الصوم ويستطيعونه إذا أرادوا أن يفطروا أفطروا وأطعموا عن كل يوم مسكينا ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) ففي الحديث عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال لما نزلت: (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) كان من أراد أن يفطر أفطر وافتدى حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها (متفق عليه).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما عن الآية: نزلت رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان الصوم فيطعمان مكان كل يوم مسكينا (البخاري) وفي رواية: كانت رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة وهما يطيقان الصوم أن يفطرا ويطعما مكان كل يوم مسكينا والحبلى والمرضع إذا خافتا. قال أبو داود يعني على أولادهما أفطرتا (صحيح سنن أبي داود).

وقد قرأها ابن عباس (يطوّقونه) وهذه قراءة شاذة مخالفة لقراءة الكافة (انظر تفسير الطبري ت٣١٠هـ، ١٦١/٣).

ولخص ابن كثير أقوال المفسرين ثم قال: فحاصل الأمر أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بإيجاب الصيام عليه بقوله: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه)؛ وأما الشيخ الفاني الهرم الذي لا يستطيع الصيام فله أن يفطر ولا قضاء عليه لأنه ليست له حال يصير إليها ويتمكن من القضاء، ولكن هل يجب عليه إذا أفطر أن يطعم

عن كل يوم مسكينا إذا كان ذا جدة (ذا مال)؟ فيه قولان للعلماء: أحدهما أنه لا يجب عليه وهو أحد قولي الشافعي، والثاني وهو الصحيح وهو عليه أكثر العلماء أنه يجب عليه فدية عن كل يوم (انظر تفسير ابن كثير ت ٧٧٤هـ ٣٦٦/١-٣٦٧).

وكذلك يرى الإمام مالك؛ أن الشيخ الكبير والمرأة العجوز ليس عليهما إطعام إلا استحبابا (انظر بداية المجتهد لابن رشد الحفيد ت ٥٩٥ هـ ٦٣/٢).

ثالثا: قال الله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (البقرة:١٨٥).

وفي الآية: أمر، رخصة، علة، دليل لقاعدة فقهية كبرى.

١- الأمر في قوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) شهد الشهر بالرؤية أو علم به وحضره من غير عذر كمرض أو سفر: " فليصمه " حكم تكليفي وهو الأمر بالصوم، اللام لام الأمر، ويصم فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وهذا من صيغ الأمر- كما سبق-.

واعلم أن الأصل في الأمر الوجوب وهذا ما قاله عامة المالكية وجمهور الفقهاء والشافعي وغيرهم، وخالف المعتزلة وبعض الشافعية فقالوا: الأصل في الأمر الندب... وقيل غير ذلك (انظر المسودة في أصول الفقه لآل تيمية صـ٥).

والصحيح وهو ما عليه الجمهور أن الأصل في الأمر الوجوب، فإن أريد به الندب (الاستحباب) أو الإباحة فلابد من قرينة تدل على ذلك، وهذه القرينة إما لفظية أو غير لفظية، وقد تكون القرينة قاعدة شرعية عامة.

مثال قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) (النور:٣٣) فالأمر بالمكاتبة للندب لقرينتين: الأولى لفظية وهي قوله تعالى: (إن علمتم فيهم خيرا). لأن الله تعالى علق الكتابة على علم المالك بما يراه خيرا للعبد

الثانية: قاعدة عامة في الشريعة: أن المالك له حرية التصرف في ملكه، وأول الآية نصت على ثبوت الملك له (مما ملكت أيمانكم) (انظر شرح الكوكب المنير ١٩/٣).

٢- الرخصة في قوله تعالى: (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) تكررت الرخصة مرة ثانية في هذه الآية، ففي وجه إعادتها مع تقدم نظيرها: أنه لما كان صوم رمضان واجبا على التخيير بينه وبين الفدية بالإطعام بالآية الأولى (كتب عليكم الصيام)، وقد سقط الوجوب عن المريض والمسافر بنصها، فلما نسخ حكم تلك الآية بقوله (شهر رمضان..). الآية، وصار الصوم واجبا على التعيين، خيف أن يظن الناس أن جميع ما كان في الآية الأولى من الرخصة قد نسخ، وبالتالي وجب الصوم أيضا حتى على المريض والمسافر، فأعيد ذلك في هذه الآية الناسخة تصريحا ببقاء تلك الرخصة، ونسخت رخصة الإطعام مع القدرة والحضر (الإقامة) والصحة لا غير (انظر التحرير والتنوير ١٧٤/٢-١٧٥).

٣- دليل لقاعدة فقهية كبرى وذلك في قوله تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)، وقد بينت الآيات الحكمة من الرخصة، أن الله تعالى شرع لكم القضاء لأنه يريد بكم اليسر عند المشقة، ولا يريد بكم العسر؛ وهذه الآية ونظائرها في كتاب الله تعالى كقوله تعالى (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (الحج: ٧٨)، وقوله تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (البقرة:٢٨٦) وقوله تعالى (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا) (الطلاق: ٧)، وقد ورد هذا المعنى بكثرة نصًا ومضمونا في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، فالشريعة قائمة على اليسر ورفع الحرج، وقد بنى الأصوليون القاعدة الفقهية الكبرى وهي: (المشقة تجلب التيسير) وكذلك قاعدة (الضرورات تبيح المحظورات) من هذه الآية ونظائرها وكذلك من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

فهذا ما تيسر من النظر في آيات الصيام، ولم نتوقف عند كل الفوائد في الآيات وكذلك لم نتمكن من استكمال كل آيات الصيام لضيق المساحة.

والحمد لله رب العالمين.

استغلال الأوقات للفوز في رمضان



إعداد/ للدكتور عماد عيسى

المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يغفر لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله آتاه ربه الوسيلة والفضيلة كما وعده غدا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي الفضل، والاقتدا، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الحشر والنداء.

وبعد؛ فإن رمضان من مواسم الجود الإلهي الذي يعم نفعه، ويجل في النفوس وقعه، وأيامه تمر سراعا، وقد قال الله عنها (أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ) (البقرة: ١٨٤)، فالوقت فيه هو العملة الرائجة والتجارة الرابحة، وقد أردت أن أحدو نفسي وإخواني- لا سيما في الأيام العامرة - في هذا المسير، للجد في أمر الوقت والصحبة قبل أن يقال للمرء (لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ)(الحج: ١٣)، وذلك بجمع الهم على كثرة التعبد وإتقانه، فنختم القرآن كثيرًا مع التدبر ونصلي كثيرًا مع الإطالة، ونكثر الذكر والاستغفار واللهج بالدعاء وصنوف التعبد والأوراد، وفي الله تعالى ثقتنا أن نحقق من ذلك شيئا ورجاؤنا أن يقبل منا عملنا، (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (المائدة: ٢٧)، واليك قطوف دانية موشاة بالآيات القرآنية وموشحة بالأحاديث النبوية والأحوال الإيمانية المرضية في الوصية بالوقت.

إن الله جعل الوقت والعمر نعمة تستوجب السؤال يوم الحساب، ذلك لأن الوقت هو المطية التي يتخذها العبد للسير فإما أن تصل به إلى السعادة في الدارين كما قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل: ٩٧)، وإما أن تنقطع به في أرض الشقاوة فيكون ممن (خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) (الحج ١١).

أما كونه نعمة فذلك في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ " رواه البخاري (٦٤١٢).

وأما كونه يستوجب السؤال يوم القيامة ففي حديث ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ" رواه الترمذي (٢٤١٦).

وكثيرة هي الأمور التي من فواتها عوضٌ؛ كالمال والولد والزوجة وغيرها، أما الوقت فليس من ضيعته ما يعوضه؛ لأنه رأس مال العبد المتاجر مع ربه السائر إليه في طريق الآخرة، ومن خسر رأس ماله فقد خسر. ورحم الله الْحَسَنَ حين قال: "أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا كَانَ أَحَدُهُمْ أَشَحَّ عَلَى عُمُرِهِ مِنْهُ عَلَى دَرَاهِمِهِ وَدَنَانِيرِهِ" (الزهد لابن المبارك ص: ٤).

وهؤلاء القوم الذين مضوا إلى الله كأنهم على خيل بُلق كان حاملهم على الجد في الأوقات مبادرتهم الأنفاس والأيام، فقد كانت الليالي والأيام كنوزًا لا يفرطون فيها، فجمعوا بين المسارعة والجد، أما أخلاف السوء من بعدهم فإنهم وإن كانوا

بالنسبة إليهم في السعي كأنهم على حُمُر معقَّرة فمَعَ هذا البطء في السير جعلوا قيمة العمر عندهم رخيصة فجمعوا بين البطء والتفريط ونعوذ بالله من سوء الحال وكسف البال.

لقد أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بالمبادرة بالعمل الصالح حرصًا على الوقت فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» رواه مسلم (١٨٦).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَالدَّجَّالَ، وَخُوَيْصَّةَ أَحَدِكُمْ، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ " رواه ابن ماجه (٤٠٥٦).

وكل هذه الأمور المذكورة في الأحاديث عوائق عن السير إلى الله تعالى تستحث العبد لإسراع الخطا إلى الله قبل نزول الموانع والعوارض فـ (لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا) الأنعام: ١٥٨.

قال عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ: «اغْتَنِمُوا فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ الْمَرَضِ، وَفِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَوْتِ، وَفِي الشَّبَابِ قَبْلَ الْكِبَرِ، وَفِي الْفَرَاغِ قَبْلَ الشُّغْلِ» (الزهد لابن المبارك ص: ٣)

وصدق القائل:

لَيْسَ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَأَوَانِ
تَتَهيَّأُ صَنَائِعُ الإِحْسَانِ
فَإِذَا أَمْكَنَتْ فَبَادِرْ إِلَيْهَا
حَذَرًا مِنْ تَعَذُّرِ الإِمْكَانِ

(السير ١٨/٤١٩)

فكل هذه الأحاديث وما بعدها تؤكد على معنى العناية بالوقت، لذلك أضحى حسن الأخذ بالوقت قضية القضايا، وشأن كل ذي شأن، ومن لم يعتبر ذلك فليخل المطيَّ وحاديها والقوسَ وباريها.

إنَّ الأخذَ بالجدِّ في الوقت يجعل السعيَ مشكورًا والعملَ مبرورًا، أما التهاونُ فيه والتفريط فإنه يوقعُ بالأمة فتنًا وملاحمَ تشيبُ لها النواصي بل تجعل الولدانَ شيبًا.

وانظرْ إلى مجالس الناس بله مجالس كثير من الصالحين مظهرًا لا مخبرًا، وأقوالا لا أفعالاً، ممن تعطَّلوا وتبطَّلوا وصاروا عبئًا على أمَّتهم فانظرْ ماذا ترَى؟

ترَى فيها عوجًا يشقُّ تقويمه وصدعا يصعب ترميمه من غيبة ونميمة وخوض في اللغو وقرض للأعراض وتمضمض بالاعتراض، وقيل وقال؛ (وكل المسلم على المسلم حرام)، بل قد يكون الكلام في أقوام حطوا رحالهم في الجنة منذ زمن بعيد وكفاك بهذا شاهدا عدلا على ما أقول.

يُقضى على المرءِ في أيامِ محنته
حتى يَرى حَسنًا مَا لَيسَ بالحَسنِ

فيا حسرة على من ناموا فما استيقظوا وبالغوا قبل أن يبلغوا (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ) (النمل: ٨١).

فـ(يَا منفقا بِضَاعَة الْعُمر فِي مُخَالفَة حَبِيبه والبعد مِنْهُ لَيْسَ فِي أعدائك أضرّ عَلَيْك مِنْك

مَا تبلغ الْأَعْدَاء من جَاهِل
مَا يبلغ الْجَاهِل من نَفسه

(اهـ الفوائد لابن القيم ص: ٦٨)

(تالله مَا عدا عَلَيْك الْعَدو إِلَّا بعد أَن تولى عَنْك الْوَلِيّ فَلَا تظن أَن الشَّيْطَان غلب وَلَكِن الْحَافِظ أعرض) اهـ الفوائد ص: ٦٨.

والعجيب أن هؤلاء مع قليل الخلاف يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا فاللهم غفرانك.

وبعضهم ممن أراد الله به خيرًا يشكو بعد ذلك قسوة قلبه وغفلته عن الذكر وثقل التلاوة على لسانه فضلا عن قلبه وفؤاده، ووحشة بينه وبين سيده ومولاه، وتثاقله إلى الأرض، وميله إلى الشهوات، وإخلاده إلى الراحة التي لا تأتي بالراحة وما ذلك إلا من ذنوب تلكم المجالس التي غرهم بها الشيطان (وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) ناهيك عن كثرة الكلام التي كفى بها - والله - ذنبًا يورث في القلب وحشة

إذا كنت قد أوحشتك الذنوب
فدعها إذا شئت واستأنس

ورحم الله الْأَوْزَاعِيَّ، حِينَ قَالَ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَقُولُ قَلِيلًا وَيَعْمَلُ كَثِيرًا، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَقُولُ كَثِيرًا

وَيَعْمَلُ قليلا".

فالواجب مغادرة هذه المجالس والتحذير منها فإنها تثير الرهج وتؤذي المهج بل هي بذور نفاق ومنبت شقاق ونعوذ بالله من أقوام ليس لهم خلاق ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام ٦٨).

ومن ترك هؤلاء المفاليس فقد أراد الله به الانتفاع وأحسن عنه الدفاع وأجرى أموره على أجمل الأوضاع وكلنا إلى هذه العطايا جد فقير والله الموفق لا رب سواه.

أين المجالس التي تعقد عليها مراشد الأمة فتطلق عقولا أسيرة وأبصارا حسيرة؟

ومن قرأ سيرة العلامة الأديب وشيخ العربية محمود شاكر - رحمه الله تعالى - في مقدمة جمهرة مقالاته أدرك قيمة مجالسه، وعموم نفعها وعلو قدر هذا الإمام في علوم العربية قرابة ثلاثة أرباع قرن، حتى تخرَّج من هذه المجالس في العلم أعلام، وجرت من أجل الدفاع عن العربية والإسلام أقلام وأضحت روضة العربية بعد جفافها مفتحة الأزهار مسلسلة الأنهار، فلله دره وروح الله روحه ونور ضريحه كفاء ما قدم للإسلام وأهله.

نعم، هذه المجالس لا يرغب فيها إلا الهائمون بحب دينهم المخلصون له، ولا تحرص عليها إلا نفوس ذللت لها سبل المكارم تذليلا (وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله).

ففي مثل هذا فليتنافس أولو النُّهى

وحسبي من الدنيا الغَرور بلاغ

حال السلف في اغتنام الأوقات:

كان سلفنا آية من آيات الله التي تمشي على الأرض ومن أئمة الهدى الذين (يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)، وكان موضعهم من الإمامة موضع الدعامة فكانوا قدوة وأسوة لهذا جعل سيرتهم لا تبلى على الدهر ولا تبيد على مر الزمان وأحوالهم تروي الظمأ وتنقع الغلة وتجيء بردا وسلاما على كبد حرى واليك طرفا من حالهم.

قَالَ مُوسَى بنُ إِسمَاعِيلَ التَّبُوذَكِيُّ: لَوْ قُلْتُ لَكُم: إِنِّي مَا رَأَيتُ حَمَّادَ بنَ سَلَمَةَ ضَاحِكاً، لَصَدَقْتُ، كَانَ مَشْغُولاً، إِمَّا أَنْ يُحَدِّثَ، أَوْ يَقْرَأَ، أَوْ يُسبِّحَ، أَوْ يُصَلِّيَ، قَدْ قَسَّمَ النَّهَارَ عَلَى ذَلِكَ (السير٧/٤٤٧- ٤٤٨).

وقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَهْدِيٍّ: لَوْ قِيْلَ لِحَمَّادِ بن سَلَمَةَ: إِنَّكَ تَمُوتُ غَداً، مَا قَدرَ أَنْ يَزِيْدَ فِي العَمَلِ شَيْئاً. قُلْتُ (الذهبي): كَانَتْ أَوْقَاتُهُ مَعْمُوْرَةً بِالتَّعَبُّدِ وَالأَوْرَادِ (السير ٧/٤٤٧).

وقَالَ السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ: فَاتَنِي جُزْءٌ مِنْ وِرْدِي، فَلاَ يُمْكِنُنِي قَضَاؤُهُ -يَعْنِي: لاستغراق أَوْقَاتِه- (السير ١٢/١٨٧).

وقَالَ ابنُ عساكر: حُدِّثْتُ عَنْهُ (أي سُلَيْمُ بنُ أَيُّوْبَ الرَّازِيُّ): أَنَّهُ كَانَ يُحَاسِبُ نَفْسَه فِي الأَنفَاس، لاَ يَدَعُ وَقتاً يَمضِي بِغَيْرِ فَائِدَة، إِمَّا يَنسَخُ، أَوْ يُدَرِّسُ، أَوْ يَقرَأُ. وَحُدِّثْتُ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ يُحرِّكُ شَفَتَيْهِ إِلَى أَنْ يَقُطَّ القَلَم. (السير ١٧/٦٤٦).

وَهذَا أَبُو مُوْسَى المَدِيْنِيُّ وكَانَ إِمَاماً فِي فُنُوْن، يَقُوْلُ: مَا أَعْلَمُ أَنِّي ضَيَّعْتُ سَاعَةً مِنْ عُمْرِي فِي لَهْوٍ أَوْ لعب (السير ٢٠/٢٦).

وقَالَ الأَوْزَاعِيُّ: "لَيْسَ سَاعَةٌ مِنْ سَاعَاتِ الدُّنْيَا إِلَّا وَهِيَ مَعْرُوضَةٌ عَلَى الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمًا فَيَوْمًا وَسَاعَةً فَسَاعَةً، وَلا تَمُرُّ بِهِ سَاعَةٌ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا إِلَّا تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَيْهَا حَسَرَاتٍ، فَكَيْفَ إِذَا مَرَّتْ بِهِ سَاعَةٌ مَعَ سَاعَةٍ وَيَوْمٌ مَعَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٌ مَعَ لَيْلَةٍ". الحلية ٦/١٤٢.

قيمة الوقت عند المسلم:

الوقت عند المسلم الواعي هو الحياة بل الحياتان الأولى والآخرة؛ فإنه لا يزرع في أولاه إلا بالوقت ولا يصل إلى الدرجات العالية في أخراه إلا بالوقت فصار الوقت بذلك عصب الدارين الدنيا والآخرة.

قال ابن القيم رحمه الله في ذلك: "السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها والساعات أوراقها والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية فثمرته حنظل، وانما يكون الجذاذ يوم المعاد، فعند الجذاذ يتبين حلو الثمار من مُرِّها" الفوائد ص: ١٦٤.

وقال ابن القيم: (عُمْرُ الْعَبْدِ هُوَ مُدَّةُ حَيَاتِه، وَلَا حَيَاةَ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنِ اللهِ وَاشْتَغَلَ بِغَيْرِه، بَلْ حَيَاةُ الْبَهَائِمِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِه، فَإِنَّ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ بِحَيَاةِ قَلْبِهِ وَرُوحِه، وَلَا حَيَاةَ لِقَلْبِهِ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ فَاطِرِه، وَمَحَبَّتِه، وَعِبَادَتِه وَحْدَهُ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْه، وَالطُّمَأْنِينَةِ بِذِكْرِه، وَالْأُنْسِ بِقُرْبِه، وَمَنْ فَقَدَ هَذِهِ الْحَيَاةَ فَقَدَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَوْ تَعَوَّضَ عَنْهَا بِمَا تَعَوَّضَ

مِمَّا في الدُّنْيَا، بَلْ لَيْسَت الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا عِوَضًا عَنْ هَذه الْحَيَاة، فَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَفُوتُ الْعَبْدَ عِوَضٌ، وَإِذَا فَاتَهُ اللهُ لَمْ يُعَوَّضْ عَنْهُ شَيْءٌ الْبَتَّةَ اهـ. الداء والدواء ٨٤.

علاج مضيعة الأوقات:

ضياع الوقت داء عضال، يحتاج إلى مصابرة ورباط للشفاء منه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (آل عمران: ٢٠٠).

أمر الله تعالى في الآية بالصبر والمرابطة، فالصبر لمقاومة المرض ومجاهدة النفس والرباط للثبات على ذلك العمل حتى يتم البرء ويصبح الشفاء ميسورا لا معسورا، ومن علاج ذلك.

لابد أن يمنع اللسان لئلا يوقع بالناس أفاعيل الانتقام وضرائر الإفك وأخواتها في الرضاعة من البهتان والآثام، وأن يضرب من هؤلاء كل بنان (فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون) قال النبي (من صمت نجا) وقال (أمسك عليك لسانك).

ترك المعاصي ما أمكن والتوبة مما لا بد منه فإن (الْمَعَاصِيَ تُقَصِّرُ الْعُمُرَ وَتَمْحَقُ بَرَكَتَهُ وَلَا بُدَّ، فَإِنَّ الْبِرَّ كَمَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ، فَالْفُجُورُ يُقَصِّرُ الْعُمُرَ.

وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: نُقْصَانُ عُمُرِ الْعَاصِي هُوَ ذَهَابُ بَرَكَةِ عُمُرِهِ وَمَحْقُهَا عَلَيْهِ، وَهَذَا حَقٌّ، وَهُوَ بَعْضُ تَأْثِيرِ الْمَعَاصِي.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: بَلْ تُنْقِصُهُ حَقِيقَةً، كَمَا تُنْقِصُ الرِّزْقَ، فَجَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِلْبَرَكَةِ فِي الرِّزْقِ أَسْبَابًا كَثِيرَةً تُكَثِّرُهُ وَتَزِيدُهُ، وَلِلْبَرَكَةِ فِي الْعُمُرِ أَسْبَابًا تُكَثِّرُهُ وَتَزِيدُهُ......

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى: تَأْثِيرُ الْمَعَاصِي فِي مَحْقِ الْعُمُرِ إِنَّمَا هُوَ بِأَنَّ حَقِيقَةَ الْحَيَاةِ هِيَ حَيَاةُ الْقَلْبِ، وَلِهَذَا جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْكَافِرَ مَيِّتًا غَيْرَ حَيٍّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ » (سُورَةُ النَّحْلِ: ٢١).

فَالْحَيَاةُ فِي الْحَقِيقَةِ حَيَاةُ الْقَلْبِ، وَعُمُرُ الْإِنْسَانِ مُدَّةُ حَيَاتِهِ فَلَيْسَ عُمُرُهُ إِلَّا أَوْقَاتَ حَيَاتِهِ بِاللهِ، فَتِلْكَ سَاعَاتُ عُمُرِهِ... وَبِالْجُمْلَةِ، فَالْعَبْدُ إِذَا أَعْرَضَ عَنِ اللهِ وَاشْتَغَلَ بِالْمَعَاصِي ضَاعَتْ عَلَيْهِ أَيَّامُ حَيَاتِهِ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي يَجِدُ غِبَّ إِضَاعَتِهَا يَوْمَ يَقُولُ: « يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي» (سُورَةُ الْفَجْرِ: ٢٤) اهـ الداء والدواء ص: ٥٤-٥٥.

العناية بخواتيم العمر والعمل

قال ابن القيم: (الْعُمر بآخره وَالْعَمَل بخاتمته؛ من أحدث قبل السَّلَام بَطل مَا مضى من صلَاته؛ وَمن أفطر قبل غرُوب الشَّمْس ذهب صِيَامه ضَائِعا؛ وَمن أَسَاءَ فِي آخر عمره لقى ربه فِي ذَلِك الْوَجْه اهـ الفوائد لابن القيم ٦٣.

اعتزال الناس إلا في الخير، كصلة الرحم، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس، وغيرها من أبواب الخير.

ولله در شيخ الإسلام ابن تيمية الذي كان يذهب إلى الفلوات بحثا عن الخلوات ويردد:

وأخرج من بين البيوت لعلني
أحدث عنك القلب بالسر خاليًا

إن العزلة التي بغير عين العلم علة وبغير زاي الزهد زلة قد تضر من حيث يرجى نفعها فلتكن بهما وبقَدْر معلوم.

أما الاختلاط الذي لا نفع من ورائه فإنه كم نسخ من مودة ونسج من عداوة وأوقع في بلية وأورث من خزية، وعجَّل من منية، وأجرى من عَبْرة، وأحضر من حسرة ؛ فلا تتماروا بالنذر.

إدراك قصر أعمارنا، وكثرة وتزاحم أعمالنا، ومن علم ذلك كيف يستحل أن يضيع وقته سدى وأن يهدره عبثا؟

قال ابن القيم: (مُدَّة الْعُمر الَّتِي هِيَ بِالْإِضَافَة إِلَى الْآخِرَة كَنَفس وَاحِد من أنفاسها) اهـ الداء والدواء ص ٩٥.

ومن أدرك قصر عمره اجتهد في عمل الآخرة وسعى لها سعيها وجعل للدنيا فضل وقته.

قال عون بْن عَبد اللَّه: إن من كان قبلنا كانوا يجعلون لدنياهم ما فضل عَنْ آخرتهم، وإنكم اليوم تجعلون لآخرتكم ما فضل عَنْ دنياكم (تهذيب الكمال ٤٥٩/٢٢). هذا ما تيسر وبالله ثقتنا وعليه المعتمد وصلى الله وسلم على نبينا محمد والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا.



جزاء الصائمين

رمضان كريم

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الصيام؛ بها يسعد الإنسان في الدنيا ويوم الزحام، ويُظَلُّ بعرش الرحمن، ويُسقى من ماء الريان، ويدخل الجنة بسلام وأمان، والصلاة والسلام على أفضل من صلى وصام وعبد ربه وقام.

الصيام والصيف:

لا شك أن الصيام في الصيف شاق، ونشعر بألم العطش الشديد من شدة الحرارة وطول اليوم والشمس بعيدة عنا جدا، فما بالنا بالعطش الأكبر يوم القيامة وطوله الذى يصل إلى خمسين ألف سنة؟!

عن الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» - قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ - قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ. صحيح مسلم (٢٨٦٤).

- عن سلمان رضي الله عنه قال: تُعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تُدنى من جماجم الناس. صحيح الترغيب (٣٦٣٨).

- شمس يوم القيامة تُعطى حر عشر سنين مع اقترابها من رءوس الخلق؛ فينفجر العرق من كل مكان في جسم الإنسان كلٌّ بحسب عمله؛ فما المخرج في هذا اليوم العصيب؟ المخرج: من هذه المنجيات بإذن الله تعالى الإكثار من الصوم والتأدب بآدابه.

-إنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ:

عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ». رواه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

تعليق:

أ- الريان اسم علم على باب من أبواب الجنة يختص بدخول الصائمين منه، مُشتق من الري وهو مناسب لحال الصائمين، قال القرطبي اكتفى بذكر الري عن الشبع لأنه يدل عليه من حيث إنه يستلزمه قلت: أو لكونه أشق على الصائم من الجوع.

فتح الباري (٤/١١١).

ب- لما كانَ في الصَّوْمِ منَ الصَّبْرِ عَلَى أَلَمِ العَطَشِ وَالظَّمَإِ في الهَوَاجِرِ إعْلاَمًا لِمَنْ تَكَلَّفَ ذَلكَ بِمَا يَخُصُّ هَذا منَ الدُّعَاءِ منْ هَذا البَابِ الَّذي يَدُلُّ عَلَى الثَّوَابِ الجَزِيلِ وَاللهُ أعْلَمُ. المنتقى شرح الموطأ (٣/٢١٨).

ج- أفرد لهم هذا الباب ليسرعوا إلى الري من عطش الصيام في الدنيا إكرامًا لهم واختصاصًا؛ وليكون دخولهم في الجنة هينًا غير متزاحم عليهم عند أبوابها، فإن الزحام قد يؤدي إلى نوع من العطش. (التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٣/٣٨) لابن الملقن).

د- يُقَالُ: أيْنَ الصَّائِمُونَ؟

يوم القيامة يوم العطش الأكبر تُنادي الملائكة على الصائمين أين الصائمون؟ أين الصائمون؟ تعالوْا تعالوا اُدخلوا الجنة من باب الريان:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ في سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» رواه البخاري (١٨٩٧)،مسلم (١٠٢٧).

- فقال أبو بكر رضي الله عنه طامعاً في فضل الله تعالى: «فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب؟»، ومعناه أنه تساءل قائلاً « فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم « أي يُوجد من المؤمنين من يُدعى من أبواب الجنة الثمانية لكثرة عباداته وتنوعها واختلافها «وأرجو أن تكون منهم»؛ لاجتهادك في كل العبادات وحرصك على جميع الخيرات. منار القاري (٤/٢٠٤).

٥- قصور الصائمين في الجنة:

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَغُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا» فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هِيَ لِمَنْ أَطَابَ الكَلاَمَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» (سنن الترمذي (٢٥٢٧)حسنه الألباني).

- الغُرف بمعنى القصور العالية لأهل الجنة وذكرنا أن الغرفة للإنسان في الدنيا بمعنى المكان العالي الذي يستريح فيه، والمكان الذي هو لأهل الشرف، فالإنسان أشرف الأماكن عنده وأعلى الأماكن عنده الذي يُسمى بالغرفة. فالجنة فيها غُرف في أعالي الجنات، ولهم قصور في أعالي الجنات، فيقول عليه الصلاة والسلام: (إن في الجنة غرفا) هذه الغرف التي لأصحابها تكون مبنية من ذهب ومن فضة، ومع ذلك فإن صاحبها إن كان بداخلها يرى خارجها من خلالها وإذا كان خارجها ينظر إلى داخلها فيرى ما يريده من داخلها. قال: (يُرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها)، كالزجاج فأنت ترى داخل الزجاج من الخارج، أما في الجنة لم يقل لنا من زجاج فالزجاج شيء رخيص في الدنيا، ولكن الجنة مبنية القصور من ذهب، ومع ذلك بلغ من شفافيته وبلغ أن يكون صاحبه بداخل هذا القصر المبني من لبنة من ذهب ولبنة من فضة أن يرى ما خارجه وهو في داخل هذا القصر، فإذا كان في الخارج وأراد أن ينظر في داخل قصره نظر واستمتع بما فيه من حور عين وغيرها! ولما قال النبي صلى الله عليه

وسلم ذلك قام أعرابي تعجب وانبهر مما سمع فقال: (لمن هي يا رسول الله؟! فقال صلى الله عليه وسلم: لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام). (تفسير أحمد حطيبة: ٤/ ٣٤٨).

٦- الحور العين للصائمين في الجنة:

الصائم يُعطى في الجنة ما شاء الله من طعام وشراب ونساء قال الله تعالى: «كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ» (الحاقة: ٢٤)، قال الحسن: تقول الحوراء لولي الله وهو متكئ معها على نهر العسل تعاطيه الكأس: إن الله نظر إليك في يوم صائف بعيد ما بين الطرفين وأنت في ظمأ هاجرة من جهد العطش فباهى بك الملائكة وقال: انظروا إلى عبدي ترك زوجته وشهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي رغبة فيما عندي اشهدوا أني قد غفرت له فغفر لك يومئذ وزوجنيك. (لطائف المعارف: ١٥٨).

٧- مع أفضل خلق الله تعالى في الجنة:

عن عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ شَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، وَصَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَأَدَّيْتُ الزَّكَاةَ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَقُمْتُهُ، فَمِمَّنْ أَنَا؟ قَالَ: «مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ» (صحيح ابن حبان وصحيح الترغيب: ١٠٠٣).

قال تعالى: «وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا» (النساء: ٦٩)، أي: هُمْ مَعَهُمْ في دار وَاحِدَة وَنَعِيم وَاحِد يَسْتَمْتِعُونَ بِرُؤْيَتِهِمْ وَالْحُضُور مَعَهُمْ، لَا يُسَاوُونَهُمْ في الدَّرَجَة، فَإِنَّهُمْ يَتَفَاوَتُونَ لَكِنَّهُمْ يَتَزَاوَرُونَ.

وَكُلّ مَنْ فِيهَا قَدْ رُزِقَ الرِّضَا بِحَالِهِ. تفسير القرطبي (٥/٢٧٢).

مَن هم الصائمون؟!

قال الشيخ صفوت نور الدين رحمه الله تعالى: فمن هم الصائمون الذين يُرجى لهم أن يتحقق هذا الوعد لهم؟ إن الناظر في النصوص الشرعية يُمكنه أن يفهم أن اسم الصائم يطلق في إحدى ثلاث حالات:-

أولا: من مات في صومه: لحديث جابر، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ» مسلم (٢٨٧٨).

وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: « مَنْ قَالَ « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ « ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا: دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهِ: دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا: دَخَلَ الْجَنَّةَ « صحيح الترغيب (٩٨٥). فبهذا من مات صائما يُبعث يوم القيامة على هذه الهيئة الحسنة في عبادته لربه، ويتحقق له موعوده من فضله.

الثاني: من كان يُؤدي صوم الفريضة ويُكثر من النوافل فيكون له بالصوم تعلق.

الثالث: أن يكون الصوم له خُلق فهو يصوم بكفّ البطن والفرج عن قضاء الشهوة الحرام، ويصوم بكف النظر واللسان واليد والرجل والسمع والبصر وسائر الجوارح عن الآثام، ويصوم قلبه عن الهمم الدنيئة والأفكار المُبعدة عن الله تعالى؛ وذلك لحديث البخاري (١٩٠٣): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ في أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» إتحاف الأنام بأحكام الصيام ص٢٣.

اللهم أسكنا الفردوس الأعلى من الجنة، والحمد لله رب العالمين.



رمضانيات

غزوة بدر

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

فإن شهر رمضان كان ولا يزال شهر الفتح والفتوحات؛ ففيه كانت غزوة بدر الكبرى سنة ٢هـ، وفيه فتح مكة سنة ٨هـ، وفيه فتح البويب في العراق سنة ١٣هـ ضد الفرس، وفيه فتح النوبة شمال السودان سنة ٣١هـ عند فتح مصر.

وفيه معركة بلاط الشهداء في أوربة بعد فتح الأندلس سنة ١١٤هـ بقيادة البطل الشهيد عبد الرحمن الغافقي، وفيه فتح عمورية سنة ٢٢٣ هـ لما صرخت امرأة مسلمة أسرها الروم «وامعتصماه». وفيه معركة المنصورة سنة ٦٤٧هـ ضد الصليبيين بقيادة فخر الدين الجويني وأسر فيها لويس التاسع الفرنسي.

وفيه معركة عين جالوت في فلسطين سنة ٦٥٨ هـ بقيادة حاكم مصر المحروسة سيف الدين قطز التي هزم فيها التتار بعد سنة من توليه الحكم، وفيه فتح شقحب بالشام سنة ٧٠٢هـ ضد التتار أيضًا. وفيه فتح قبرص في عهد المماليك بقيادة السلطان برسباي المملوكي سنة ٨٢٩هـ ضد الفرنجة.

وآخر ذلك (وليس آخرا إن شاء الله) حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣م في مصر ضد اليهود الغاصبين.

ونبدأ بذكر أولى هذه الغزوات وهي الغزوة الكبرى المباركة أول غزوة في الإسلام، أعز الله فيها الإسلام وأهله، وأذل فيها الشرك وأهله، واستحق كل من شارك فيها أن يسمى بدريًا وقد قال: « لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ». (صحيح البخاري ٥/ ١٤٥).

سببها

أن عيرا لقريش أفلتت من النبي صلى الله عليه وسلم في ذهابها من مكة إلى الشام، ولما قرب رجوعها من الشام إلى مكة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد إلى الشمال، ليقوما باكتشاف خبرها، فوصلا إلى الحوراء، ومكثا حتى مر بهما أبو سفيان بالعير، فأسرعا إلى المدينة، وأخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر.

كانت العير مركبة من ثروات طائلة من أهل مكة،

ألف بعير موقرة بالأموال، لا تقل عن خمسين ألف دينار ذهبي، ولم يكن معها من الحرس إلا نحو أربعين رجلا.

لذلك أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين قائلا: «هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها» (حديث صحيح، رواه ابن هشام: ٢/ ٦١، عن ابن إسحاق بسنده الصحيح عن ابن عباس).

ولم يعزم على أحد بالخروج، بل ترك الأمر للرغبة المطلقة، لما أنه لم يكن يتوقع عند هذا الانتداب أنه سيصطدم بجيش مكة- بدل العير- هذا الاصطدام العنيف في بدر، ولذلك تخلف كثير من الصحابة في المدينة، وهم يحسبون أن مضي رسول الله في هذا الوجه لن يعدو ما ألفوه في السرايا الماضية، ولذلك لم ينكر على أحد تخلفه في هذه الغزوة. (الرحيق المختوم ص: ١٨٤).

التسابق في نيل الأجر:

روى أحمد بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود، قال: «كنّا يوم بدر، كلّ ثلاثة على بعير- أيّ يتعاقبون-. وكان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فكانت عقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (أي دوره في المشي)، فقالا له: نحن نمشي عنك- ليظلّ راكبا- فقال: «ما أنتما بأقوى منّي على المشي، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما»!!.

النذير في مكة:

وأما خبر العير فإن أبا سفيان- وهو المسئول عنها- كان على غاية من الحيطة والحذر، فقد كان يعلم أن طريق مكة محفوف بالأخطار، وكان يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان، ولم يلبث أن نقلت إليه استخباراته بأن محمدا صلى الله عليه وسلم قد استنفر أصحابه ليوقع بالعير، وحينئذ استأجر أبو سفيان ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة، مستصرخا لقريش بالنفير إلى عيرهم، ليمنعوه من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وخرج ضمضم سريعا حتى أتى مكة، فصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره، وقد جدع أنفه، وحول رحله، وشق قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة، اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث. (الرحيق المختوم ص: ١٨٦).(اللطيمة الجمال التي تحمل العطر).أي: أدركوا العير.

«فتجهّز الناس جميعا، فهم إما خارج وإما باعث مكانه رجلا، وانطلق سواد مكة وهو يغلي، يمتطي الصعب والذلول، فكانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا، معهم مائتا فرس يقودونها، ومعهم القيان يضربن بالدفوف، ويغنين بهجاء المسلمين. وولوا وجوههم إلى الشمال، ليدركوا القافلة المارّة تجاه يثرب هابطة إليهم. لكنّ أبا سفيان لم يستنم في انتظار النجدة المقبلة، بل بذل أقصى ما لديه من حذر ودهاء لمخاتلة المسلمين، والإفلات من قبضتهم، وقد كاد يسقط بالعير جمعاء في أيديهم وهم يشتدون في مسيرهم نحو بدر، غير أنه أفلت.(فقه السيرة للغزالي ص: ٢٢٨).

وكان قوام هذا الجيش نحو ألف وثلاثمائة مقاتل في بداية سيره، وكان معه مائة فرس وستمائة درع، وجمال كثيرة لا يعرف عددها بالتحديد، وكان قائده العام أبا جهل بن هشام، وكان القائمون بتموينه تسعة رجال من أشراف قريش، فكانوا ينحرون يوما تسعا ويوما عشرا من الإبل.(الرحيق المختوم ص: ١٨٦).

المجلس الاستشاري:

ونظرا إلى هذا التطور الخطير المفاجئ عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا عسكريا استشاريا أعلى، أشار فيه إلى الوضع الراهن، وتبادل فيه الرأي مع عامة جيشه، وقادته.

« وحينئذ تزعزع قلوب فريق من الناس، وخافوا اللقاء الدامي، وهم الذين قال الله فيهم: «كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ». سورة الأنفال. وأما قادة الجيش، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال:

«يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى:

اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه، حتى تبلغه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له به».

وهؤلاء القادة الثلاثة كانوا من المهاجرين، والمهاجرون أقلية في الجيش، فأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرف رأي قادة الأنصار، لأنهم كانوا يمثلون أغلبية الجيش، ولأن ثقل المعركة سيدور على كواهلهم، مع أن نصوص العقبة لم تكن تلزمهم بالقتال خارج ديارهم، فقال بعد سماع كلام هؤلاء القادة الثلاثة: «أشيروا عليّ أيها الناس»، وإنما يريد الأنصار، وفطن إلى ذلك قائد الأنصار وحامل لوائهم سعد بن معاذ، فقال: والله، لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل.

قال: فقد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله.

وفي رواية أن سعد بن معاذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقا عليها ألا تنصرك إلا في ديارهم، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم، فاظعن حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فو الله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك، ووالله لئن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك. فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: «سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم». فَسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِ سَعْدٍ وَبَسَطَهُ ذَلِكَ. (البداية والنهاية ط إحياء التراث ١/ ٣٢٤).

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود: لَقَدْ شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ مَشْهَدًا لأَنْ أَكُونَ أَنَا صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: (اذْهَبْ أَنْتَ وربك فقاتلا إنا ههنا قَاعِدُونَ) وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ يَسَارِكَ وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ. فَرَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُشْرِقُ لِذَلِكَ وَسُرَّ بِذَلِكَ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّفْسِيرِ وَالْمَغَازِي).

رحمة الله بالخارجين في سبيله:

« ثم عبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشه، ومشى في موضع المعركة، وجعل يشير بيده: هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله، وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله. ثم بات رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي إلى جذع شجرة هنالك، وبات المسلمون ليلهم هادئ الأنفاس منير الآفاق، غمرت الثقة قلوبهم، وأخذوا من الراحة قسطهم، يأملون أن يروا بشائر ربهم بعيونهم صباحا (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ)(الأنفال: ١١).

كانت هذه الليلة ليلة الجمعة، السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة، وكان خروجه في ٨ أو ١٢ من نفس الشهر.

ثُمَّ بُنِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَرِيشٌ، وَأَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ بِخُيَلَائِهَا وَفَخْرِهَا، فَلَمَّا رَآهَا قَالَ: «اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخُيَلَائِهَا وَفَخْرِهَا تُحَادُّكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ! اللَّهُمَّ فَنَصْرُكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي! اللَّهُمَّ أَحِنْهُمُ الْغَدَاةَ. وَرَأَى عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ فَقَالَ: إِنْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ فَعِنْدَ صَاحِبِ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ، إِنْ يُطِيعُوهُ يَرْشُدُوا» « . (الكامل في التاريخ ٢/ ١٨).

استنزال النصر والرحمة:

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفقد الرجال، وينظّم الصفوف، ويسدي النصائح، ويذكّر بالله والدار الآخرة. ثم يعود إلى عريش هيئ له، فيستغرق في الدعاء الخاشع، ويستغيث بالرحمن.

«ووقف أبو بكر إلى جوار الرسول عليه الصلاة

والسلام، وهو يكثر الابتهال والتضرع، ويقول فيما يدعو به: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض، وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم نصرك!» ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط رداؤه عن منكبيه. وجعل أبو بكر يلتزمه من ورائه، ويسوّي عليه رداءه ويقول- مشفقا عليه من كثرة الابتهال-: يا رسول الله! بعض مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك» «. (مسلم ٥/١٦٥).

بشريات:

ووهت صفوف المشركين تحت مطارق هذا الإيمان الزاهد في متاع الحياة الدنيا، وراعهم محمد عليه الصلاة والسلام وقد نزل بنفسه إلى الميدان يقاتل أشد القتال، ومعه أصحابه، يشتدون نحو عدوهم لا يبالون شيئا، فانكسرت قريش، وأخذها الفزع.

وصاح النبيّ عليه الصلاة والسلام- وهو يرى كبرياء الكفر تمرغ في التراب-: «شاهت الوجوه...» مسلم عن أنس.

فانهزمت قريش.. وذلك قول الله في كتابه: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣) ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ (الأنفال: ١٢-١٤).

مقتل أبي جهل:

«وحاول (أبو جهل) أن يوقف سيل الهزيمة النازل بقومه، فأقبل يصرخ بهم وغشاوة الغرور ضاربة على عينيه: واللات والعزى، لا نرجع حتى نفرّقهم في الجبال، خذوهم أخذا. وماذا تفعل صيحات الطيش بإزاء الحقائق المكتسحة؟! لكنّ أبا جهل والحق يقال-: كان تمثالا للعناد إلى آخر رمق، والطمس المنسوج على بصيرته جزء من كيانه، لا ينفك عنه أبدا؛ لذلك أقبل يقاتل في شراسة وغضب». (فقه السيرة للغزالي ص: ٢٣٦).

ثمار التربية النبوية:

ثَبَتَ فِي « الصَّحِيحَيْنِ «عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: «إِنِّي لَوَاقِفٌ يَوْمَ بَدْرٍ فِي الصَّفِّ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ، أَتَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ، لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ فَقَالَ لِي أَيْضًا مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ وَهُوَ يَجُولُ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ أَلَا تَرَيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ. فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ: أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟ قَالَ كُلُّ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ. قَالَ: هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟ قَالَا: لَا. قَالَ: فَنَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّيْفَيْنِ فَقَالَ: كِلَاكُمَا قَتَلَهُ. وَقَضَى بِسَلَبِهِ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ. وَالْآخَرُ مُعَاذُ ابْنُ عَفْرَاءَ».

قال ابن إسحاق: وَقَدْ خَفَقَ النَّبِيُّ (خَفْقَةً) وَهُوَ فِي الْعَرِيشِ ثُمَّ انْتَبَهَ فَقَالَ: «أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ أَتَاكَ نَصْرُ اللَّهِ، هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ يَقُودُهُ عَلَى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ» يَعْنِي الْغُبَارَ. قَالَ ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ فَحَرَّضَهُمْ. وَقَالَ «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يُقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ» قَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ أَخُو بَنِي سَلِمَةَ وَفِي يَدِهِ تَمَرَاتٌ يَأْكُلُهُنَّ: بَخٍ بَخٍ أَفَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَقْتُلَنِي هَؤُلَاءِ؟ قَالَ ثُمَّ قَذَفَ التَّمَرَاتِ مِنْ يَدِهِ وَأَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ. (البداية والنهاية ط الفكر ٣/ ٢٧٧).

من روائع الإيمان في هذه المعركة:

لقد أسلفنا نموذجين رائعين من عمير بن الحمام ومعاذ ومعوذ ابني عفراء، وقد تجلت في هذه المعركة مناظر رائعة، تبرز فيها قوة العقيدة وثبات المبدأ، ففي هذه المعركة التقى الآباء بالأبناء، والإخوة بالإخوة، خالفت بينهم المبادئ، ففصلت بينهم السيوف، والتقى المقهور بقاهره، فشفى منه غيظه.

والحمد لله أولاً وأخراً.



قصة حظيرة القدس وقيام شهر رمضان

الحلقة (١٧٩)

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت على ألسنة القصاص والوعاظ خاصة الشيعة منهم محتجين بوجود هذه القصة في كتب السنة الأصلية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: المتن:

رُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "أَنَا حَرَّضْتُ عُمَرَ عَلَى الْقِيَامِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، أَخْبَرْتُهُ: أَنَّ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ حَظِيرَةً، يُقَالُ لَهَا: حَظِيرَةُ الْقُدُسِ، يَسْكُنُهَا قَوْمٌ، يُقَالُ لَهُمْ: الرُّوحُ، فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ اسْتَأْذَنُوا رَبَّهُمْ فِي النُّزُولِ إِلَى الدُّنْيَا فَلا يَمُرُّونَ عَلَى أَحَدٍ يُصَلِّي أَوْ عَلَى الطَّرِيقِ إِلا أَصَابَ مِنْهُمْ بَرَكَةً"، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، تُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى الصَّلاةِ حَتَّى يُصِيبَهُمْ مِنَ الْبَرَكَةِ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْقِيَامِ.

ثانيًا: التخريج:

الخبر الذي به هذه القصة أخرجه الإمام الحافظ البيهقي في «الشعب» (٢٥١/٦) (ح٣٤٢٣) قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد عقبة الشيباني بالكوفة، حدثنا أبي، حدثنا أبو بكر محمد بن عبيد بن إسحاق العطار حدثني أبي، حدثني سيف بن عمر، حدثنا سعد بن طريف الإسكاف عن الأصبغ بن نباتة قال: قال علي بن أبي طالب فذكره.

وهذا الخبر أخرجه البيهقي أيضًا في «الشعب» (ح٣٤٢٢) قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو محمد عبد الله بن إسحاق الخرساني ببغداد حدثنا محمد بن عبيد بن أبي هارون، حدثنا عبيد بن إسحاق حدثنا سيف بن عمر عن سعد بن طريف، عن الأصبغ عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: «أَنَا حَرَّضْتُ عُمَرَ عَلَى الْقِيَامِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، أَخْبَرْتُهُ: أَنَّ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ حَظِيرَةً، يُقَالُ لَهَا: حَظِيرَةُ الْقُدُسِ، يَسْكُنُهَا قَوْمٌ، يُقَالُ لَهُمْ: الرُّوحُ، فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ اسْتَأْذَنُوا رَبَّهُمْ فِي النُّزُولِ إِلَى الدُّنْيَا فَلا يَمُرُّونَ عَلَى أَحَدٍ يُصَلِّي أَوْ عَلَى الطَّرِيقِ إِلا أَصَابَ مِنْهُمْ

بَرَكَةً "، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، تُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى الصَّلاةِ حَتَّى يُصِيبَهُمْ مِنَ الْبَرَكَةِ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْقِيَامِ». اهـ.

ثالثًا: التحقيق:

١- هذا الخبر الذي جاءت به القصة جاء بسندين:

السند العالي (ح٣٤٢٢) عدد رجاله (٨) رواه البيهقي عن شيخه أبي عبد الله الحافظ عن شيخه أبي محمد الخرساني ببغداد.

السند النازل (ح٣٤٢٣) عدد رجاله (٩) رواه البيهقي عن شيخه أبي عبد الله الحافظ عن شيخه أبي الحسن الشيباني بالكوفة.

٢- الطريقان العالي والنازل عن عبيد بن إسحاق العطار، عن سيف بن عمر عن سعد بن طريف الإسكاف عن الأصبغ بن نباتة عن علي بن أبي طالب، وإذا كان في الطريق العالي اسم الراوي مهملاً فيوضحه الطريق النازل، وبهذا يتبين أن الخبر الذي جاءت به القصة فيه أربع علل:

الأولى: أصبغ بن نباتة:

١- قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٥٣٠/٣٠٠/٢): أصبغ بن نباتة التميمي ثم الحنظلي ثم الدارمي ثم المجاشعي أبو القاسم الكوفي روى عن علي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، وعمر بن الخطاب، وآخرين، روى عنه سعد بن طريف الإسكاف وآخرين.

وقال أبو نعيم قال أبو بكر بن عياش: الأصبغ بن نباتة وهيثم هؤلاء الكاذبين.

٢- قال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٦٠/١٢٩/١): أصبغ بن نباتة الحنظلي كوفي كان يقول بالرجعة.

وأخرج بسنده عن أبي بكر بن عياش قال الأصبغ بن نباتة وهيثم هؤلاء كلهم كذابون.

٣- وقال الدارقطني في «الضعفاء والمتروكون» (١١٨): «أصبغ بن نباتة كوفي منكر الحديث». اهـ.

٤- وقال عثمان بن سعيد الدارمي في «سؤالاته» (١٤٧): سألت يحيى بن معين عن الأصبغ بن نباتة؟ فقال: ليس بشيء. اهـ.

٥- وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٦٤): «الأصبغ بن نباتة متروك الحديث». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند النسائي له معناه فقد بين ذلك الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣) قال: «مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٨١/١): «أصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي الكوفي يكنى أبا القاسم: متروك، رُمي بالرفض، من الثالثة». اهـ.

قلت: بهذا يتبين أن أصبغ بن نباتة كذاب متروك الحديث رافضي يقول بالرجعة ليس بشيء.

العلة الثانية: سعد بن طريف الإسكاف:

١- قال الإمام الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣١١٨/١٢٢/٢): سعد بن طريق الإسكاف الحنظلي الكوفي: قال ابن معين: لا يحل لأحد أن يُروَى عنه.

وقال الفلاس: ضعيف يُفْرط في التشيع. اهـ.

٢- وقال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٢٨١): «سعيد بن طريف: متروك الحديث». اهـ.

٣- وقال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣٥٣/١): «سعيد بن طريف الإسكاف من أهل الكوفة يروي عن الأصبغ بن نباتة روى عنه أهل الكوفة: كان يضع الحديث على الفور». اهـ.

العلة الثالثة: سيف بن عمر:

١- قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٢٦٥٩/٢٤٩/٨): «سيف بن عمر التميمي البرجمي ويقال السعدي ويقال الضبي ويقال الأسيدي الكوفي صاحب كتاب «الردة والفتوح» روى عن: سعد بن طريف الإسكاف وآخرين.

وروى عنه: عبيد بن إسحاق العطار وآخرون.

قال أبو جعفر الحضرمي عن يحيى بن معين:

فلس خير منه.
وقال أبو داود: ليس بشيء. اهـ.

٢- وقال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١١٩٨/٢٧٨/٤): «سألت أبي عن سيف بن عمر الضبي فقال: متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي». اهـ.

٣- وقال الإمام الحافظ ابن حبان في المجروحين (٣٤١/١): «سيف بن عمر الضبي الأسدي من أهل البصرة اتهم بالزندقة كان أصله من الكوفة يروي الموضوعات عن الأثبات».

قلت: وبهذا يتبين أن سيف بن عمر ليس بشيء، فُلَيْس خير منه، متروك الحديث، وعامة أحاديثه منكرة لم يُتابع عليها، اتُّهم بالزندقة، يروي الموضوعات.

العلة الرابعة: عبيد بن إسحاق العطار:

١- قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٣١٧/٥) (١٥٠٥/٥٣٧): «عبيد بن إسحاق العطار كوفي، سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: عبيد العطار: هو منكر الحديث». ثم ختم ترجمته فقال: «وعامة ما يرويه إما أن يكون منكر الإسناد أو منكر المتن».

٢- قال الإمام الحافظ الذهبي في «الميزان» (٥٤١١/١٨/٣): «عبيد بن إسحاق العطار، ويقال له عطار المطلقات ضعفه يحيى، وقال البخاري: عنده مناكير، وقال الأزدي: متروك الحديث».

قلت: بهذا يتبين أن الخبر الذي جاءت به قصة «حظيرة القدس وقيام شهر رمضان» خبر مسلسل بالكذابين والمتروكين والرافضة، فكما بينا سعد بن طريف وضّاع رافضي يُفْرط في التشيع، وشيخه الأصبغ بن نباتة كذاب رافضي كان يقول بالرجعة، فُتن بحب علي فأتى بالطامات.

رابعًا: الرافضة وأثرهم السيئ في الحديث:

مما أوردناه آنفًا من أقوال أئمة الجرح والتعديل يتبين أسباب وضع هذه القصة حيث بها اثنان من الروافض المفرطين في التشيع، ولذلك نجد الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣٨/١)، بين دواعي الوضع وأصناف الوضاعين قال: «القسم الثاني: قوم يقصدون وضع الحديث نصرةً لمذهبهم».

قلت: ولقد بين ذلك الحافظ السخاوي في «فتح المغيث» (٣٠٠/١) حيث ذكر الرافضة ثم قال: «الرافضة فرق متنوعة من الشيعة، وانتسبوا كذلك؛ لأنهم بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له تبرأ من الشيخين فأبى، وقال: كانا وزيري جدي صلى الله عليه وسلم فتركوه ورفضوه». اهـ.

قلت: وهذا ما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٣٥/١٣) قال: «وأما لفظ الرافضة: فهذا اللفظ أول ما ظهر في الإسلام، لما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك واتبعه الشيعة فسُئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما فرفضه قوم فقال: رفضتموني، رفضتموني فسُمُّوا الرافضة، فالرافضة تتولى أخاه أبا جعفر محمد بن علي، والزيدية يتولون زيدًا وينسبون إليه ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى زيدية ورافضة إمامية». اهـ.

قلت: ثم بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٤٣٥/٤) حيث قال:

أ- فأبو بكر وعمر أبغضتهما الرافضة ولعنتهما دون غيرهم من الطوائف، ولهذا قيل للإمام أحمد: من الرافضي؟

قال: الذي يسب أبا بكر وعمر لبغضهم لهما فالمبغض لهما هو الرافضي.

ب- وأصل الرفض من المنافقين الزنادقة فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق، وأظهر الغلو في علي بدعوى الإمامة والنص عليها وادعى العصمة له. اهـ.

خامسًا: تطبيق خصائص الرافضة على هذه القصة:

من خصائص الرافضة: يعمدون إلى الصدق الظاهر المتواتر يدفعونه وإلى الكذب المختلق الذي يعلم فساده يقيمونه.

فلقد عمد سعد بن طريف الإسكاف الرافضي المفرط في التشيع المتروك الوضاع وشيخه الأصبغ بن نباتة الكذاب الرافضي الذي يقول بالرجعة؛ كان يقول: إن عليًا يرجع إلى الدنيا وفتن «كما بينا» بحب علي فأتى بالطامات في الروايات، وهذا ظاهر من متن هذه القصة التي وضعها هذا الرافضي وتلميذه يتبين منها بغضهما لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وسلبه منقبة من أعظم مناقبه وهي قيام شهر رمضان الثابتة الصحيحة، ويذهبون إلى الكذب المختلق المصنوع وينسبونه بقصة واهية إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو منه بريء كما بينا من التحقيق.

حتى سولت لهؤلاء الروافض أن ينسبوا لعلي القول: «" أَنَا حَرَّضْتُ عُمَرَ عَلَى الْقِيَامِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، أَخْبَرْتُهُ: أَنَّ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ حَظِيرَةً، يُقَالُ لَهَا: حَظِيرَةُ الْقُدُسِ، يَسْكُنُهَا قَوْمٌ، يُقَالُ لَهُمْ: الرُّوحُ، فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ اسْتَأْذَنُوا رَبَّهُمْ فِي النُّزُولِ إِلَى الدُّنْيَا فَلا يَمُرُّونَ عَلَى أَحَدٍ يُصَلِّي أَوْ عَلَى الطَّرِيقِ إِلا أَصَابَ مِنْهُمْ بَرَكَةً "، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، تُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى الصَّلاةِ حَتَّى يُصِيبَهُمْ مِنَ الْبَرَكَةِ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْقِيَامِ».

سادسًا: التراويح منقبة من مناقب عمر رضي الله عنه اتبع فيها السنة:

قال ابن قدامة في «المغني» (٦٠٣/٢): «ونسبت التراويح إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنه جمع الناس على أبي بن كعب فكان يصليها بهم». اهـ.

سابعًا: الرد على محسني البدع:

قد يستدل المبتدعة بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نعمت البدعة هذه» فيخصصون به عموم قوله صلى الله عليه وسلم: «كل بدعة ضلالة». أخرجه مسلم في صحيحه (ح٨٦٧).

وهو احتجاج مردود؛ لأن صلاة القيام مشروعة بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أخرج البخاري في صحيحه (ح٢٠١٢) ومسلم (ح٧٦١)، ومالك في الموطأ (ح٢٥٠)، وأحمد في المسند (ح٢٥٤١٧)، وأبو داود (١٣٧٣)، والنسائي (ح٢١٩٢)، والبيهقي (٤٩٢/٢/٤٩٣)، قال مسلم: حدثني حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ فَصَلَّى رِجَالٌ بِصَلَاتِهِ فَأَصْبَحَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ بِذَلِكَ فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ فَصَلَّوْا بِصَلَاتِهِ فَأَصْبَحَ النَّاسُ يَذْكُرُونَ ذَلِكَ فَكَثُرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنْ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ فَخَرَجَ فَصَلَّوْا بِصَلَاتِهِ فَلَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ عَجَزَ الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطَفِقَ رِجَالٌ مِنْهُمْ يَقُولُونَ الصَّلَاةَ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى خَرَجَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ فَلَمَّا قَضَى الْفَجْرَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ تَشَهَّدَ فَقَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ شَأْنُكُمْ اللَّيْلَةَ وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ صَلَاةُ اللَّيْلِ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا. اهـ. هذا لفظ مسلم (ح١٧٨/٧٦١).

قلت: انظر إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ صَلَاةُ اللَّيْلِ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا». فلما انقطع الوحي أمن ما خاف منه الرسول صلى الله عليه وسلم فبقيت السنة للجماعة لزوال العارض ثم جاء عمر رضي الله عنه وأمر بصلاتها؛ فمفهوم البدعة الشرعية لا ينطبق على فعل عمر رضي الله عنهما وإنما أراد رضي الله عنه بقوله البدعة اللغوية؛ لأن البدعة الشرعية أمر مستحدث في الدين؛ ولكن هذا أمر فعله النبي صلى الله عليه وسلم كما بينا ثم تركه لحكمة فهمها عمر رضي الله عنه كما بيناها.

وفقنا الله لقيام رمضان، وحقق لنا قول النبي صلى الله عليه وسلم « من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه». متفق عليه.

هذا ما وفقني الله إليه
وهو وحده من وراء القصد.



من سنن وآداب الصيام

الحمدُ للهِ الَّذي خلقَ كُلَّ شَيْءٍ فقدَّرهُ تقديرًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي أرسله ربه هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد: فإن للصوم سنناً، أحببتُ أن أذكِّر بها نفسي وإخواني الصائمين الكرام، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد/ صلاح نجيب الدق

(١) السَّحُور:

المقصود بالسحور هو تناول الطعام والشراب في آخر الليل بنية الصوم.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً. (البخاري حديث ١٩٢٣، ومسلم حديث ١٠٥٩).

ويتحقق السَّحُور بشَربة ماء.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: تَسَحَّرُوا ولو بجَرْعَة من ماء. (حديث صحيح: صحيح الجامع للألباني حديث:٢٩٤٥).

تأخير السحور:

روى الشيخان عَنْ أَنَس بن مالك عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَسَحَّرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالسَّحُورِ؟ قَالَ: قَدْرُ خَمْسِينَ آيَةً. (البخاري حديث ١٩٢١، ومسلم حديث ١٠٩٧).

بركات السحور:

تتجلى بَركَات تأخير السَّحُور فيما يلي:

(أ) الدعاء في الثلث الأخير من الليل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ. (البخاري حديث ٧٤٩٤).

(ب) إدراك صلاة الفجر جماعة في المسجد.

(ج) السَّحُور يقوي المسلم على الصوم، فيجعله لا يشعر بشدة الجوع أو العطش أثناء الصوم.

(د) اتباع سُنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما يترتب على ذلك من عظيم الأجر من الله تعالى يوم القيامة. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني جـ٤ صـ١٦٦).

(٢) تعجيل الفطر:

يُستحبُ للصائم أن يُعجل بالفطر قبل أن يصلي المغرب.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ. (البخاري حديث ١٩٥٧، ومسلم حديث ١٠٩٨).

الفطر على رطبات أو تمرات أو شربة ماء:

روى أبو داود عن أنس بْنَ مَالِكٍ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فَعَلَى تَمَرَاتٍ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ. (حديث حسن صحيح: صحيح أبي داود للألباني حديث ٢٠٦٥).

فائدة الفطر على التمر والماء:

كَانَ نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحُضُّ عَلَى الْفِطْرِ بِالتَّمْرِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَعَلَى الْمَاءِ، هَذَا مِنْ كَمَالِ شَفَقَتِهِ عَلَى أُمَّتِه وَنُصْحِهِمْ، فَإِنَّ إِعْطَاءَ الطَّبِيعَةِ الشَّيْءَ الْحُلْوَ مَعَ خُلُوِّ الْمَعِدَةِ أَدْعَى إِلَى قَبُولِه وَانْتِفَاعِ الْقُوَى بِه، وَلَا سِيَّمَا الْقُوَّةَ الْبَاصِرَةَ، فَإِنَّهَا تَقْوَى بِه، وَأَمَّا الْمَاءُ فَإِنَّ الْكَبِدَ يَحْصُلُ لَهَا بِالصَّوْمِ نَوْعُ يُبْسٍ. فَإِذَا رُطِّبَتْ بِالْمَاءِ كَمُلَ انْتِفَاعُهَا بِالْغِذَاءِ بَعْدَهُ. وَلِهَذَا كَانَ الْأَوْلَى بِالظَّمْآنِ الْجَائِعِ أَنْ يَبْدَأَ قَبْلَ الْأَكْلِ بِشُرْبِ قَلِيلٍ مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَأْكُلَ بَعْدَهُ، هَذَا مَعَ مَا فِي التَّمْرِ وَالْمَاءِ مِنَ الْخَاصِّيَّةِ الَّتِي لَهَا تَأْثِيرٌ فِي صَلَاحِ الْقَلْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا أَطِبَّاءُ الْقُلُوبِ. (زاد المعاد لابن القيم جـ٢صـ٥٠:٥١).

(٣) الدعاء عند الفطر وأثناء الصيام:

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ثلاث دعوات مُستجابات: دعوة الصائم ودعوة المظلوم ودعوة المسافر. (حديث صحيح: صحيح الجامع للألباني حديث ٣٠٣٠).

عن عبد الله بن عمر قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتْ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. (حديث حسن: صحيح أبي داود للألباني حديث ٢٠٦٦).

الدعاء هو العبادة، ولا يستطيع المسلم أن يستغني عن دعاء خالقه سبحانه، فالدعاء دليل إظهار العبودية والخضوع لله تعالى وحده، لذا كان من أشرف العبادات، والله تعالى يجيب دعوة عبده إذا دعاه مخلصاً في السراء والضراء.

قال تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة:١٨٦).

وقال جل شأنه: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) (النمل:٦٢).

وقال سُبحانه: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر:٦٠).

(٤) تلاوة القرآن:

رمضان هو شهر نزول القرآن الكريم. قال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ) (البقرة: ١٨٥)، يُستحبُ للصائم أن يكثر من تلاوة القرآن، لأنه كلام الله تعالى، ليرفع رصيده من الحسنات.

روى الترمذيُ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِه حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» (حديث صحيح) (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٣٢٧).

ذكر بعض أهل العلم أن عَدَدَ حروف القرآن أكثر من ثلاث مائة ألف حرف. ومن المعلوم أن من قرأ حرفاً من القرآن كان له به عشر حسنات، فكم يكون ثواب المسلم إذا ختم القرآن مرة واحدة في شهر رمضان؟، والله يضاعف لمن يشاء، فلنحرص على أن نختم القرآن أكثر من مرة في هذا الشهر المبارك.

أخي الصائم الكريم: إذا لم تختم القرآن في

شهر القرآن، فمتى تختمه؟!

(٥) التوبة والاستغفار وذكر الله تعالى:

ينبغي للصائم أن يُكثر من التوبة والاستغفار، وأن يكون لسانه دائماً رطباً بذكر الله تعالى في كل وقت، وليعلم الصائم أن هذه الأذكار هي السبيل إلى مرضاة الله، وجَنَّة عرضها السموات والأرض، أعدت للمتقين، فيها ما لا عين رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطَرَ على قلب إنسان. قال سُبحانه: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (البقرة:١٥٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم قَالَ: مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّه وَبِحَمْده فِي يَوْم مِائَةَ مَرَّة حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَد الْبَحْر.(البخاري حديث ٦٤٠٥ ومسلم حديث ٢٦٩١).

عَنْ سَعْدِ بن أبي وقاص قَالَ: قَال رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسبَ كُلَّ يَوْم أَلْفَ حَسَنَة فَسَأَلَهُ سَائلٌ منْ جُلَسَائه كَيْفَ يَكْسبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَة قَالَ يُسَبِّحُ مائَةَ تَسْبِيحَة فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَة أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطيئَة.(مسلم حديث ٢٦٩٨).

(٦) الإكثار من الصدقات:

يُستحبُ للصائم أن يكثر من الصدقات، بقدر طاقته، و يتذكر عظيم ثوابها عند الله تعالى يوم القيامة.

قال سُبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾: البقرة: ٢٦١.

فسارع أخي الصائم الكريم إلى جمع الحسنات قبل أن يفوت الوقت، واعلم أن ميزان الحسنات يرجح بحسنة واحدة خالصة لله تعالى.

كان نبينا صلى الله عليه وسلم جواداً كريماً، يؤثر المحتاجين من الصحابة على نفسه وآل بيته، وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاس وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حينَ يَلْقَاهُ جبْريلُ وَكَانَ جبْريلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَة منْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ حينَ يَلْقَاهُ جبْريلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ منَ الرِّيح الْمُرْسَلَة. (البخاري حديث ١٩٠٤، ومسلم حديث ١١٥١).

(٧) الصبر على أذى الناس:

إذا كان الصائم يصبر على الطعام والشراب لساعات طويلة في شدة الحر، فإنه يتبغي أن يتحلى، أثناء الصوم، بالصبر على أذى الناس، اقتداءً بنبينا محمدٍ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لي وَأَنَا أَجْزِي به، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائمٌ. (البخاري حديث:١٩٠٤، ومسلم حديث:١١٥١).

(٨) التحلي بحسن الخُلُق:

روى الترمذيُّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَة منْ خُلُق حَسَن، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحشَ الْبَذِيءَ» (حديث صحيح: صحيح الترمذي للألباني حديث: ١٦٢٨).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِه فَلَيْسَ للَّه حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ. (البخاري حديث ١٩٠٣).

قال الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾. (الحجرات: ١٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ:أَتَدْرُونَ مَا الْغيبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ذكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ قيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فيه مَا تَقُولُ فَقَد اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فيه فَقَدْ بَهَتَّهُ.(مسلم حديث ٥٢٨٩).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

رمضان
١٤٣٦ هـ

فضل إطعام الطعام

الحمد لله حمدا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمَد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد، أما بعد... فقد خلق الله سبحانه وتعالى الخلق ليعبدوه، وسخر لهم ما في الأرض لتستقيم به معيشتهم، وخلق الطعام، وجعله سببا لحياتهم، وأمرهم بطلبه منه عز وجل، وحثهم نبيه صلى الله عليه وسلم على التقرب إلى الله بإطعام بعضهم بعضا، وندبهم إلى ذلك في شهر الصيام، ولنا مع فضل إطعام الطعام الوقفات الآتية:

إعداد/ المستشار / أحمد السيد علي

الوقفة الأولى: فضل إطعام الطعام:

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خيارُكم من أطعَمَ الطعامَ وردَّ السَّلامَ» (رواه أحمد وصححه الألباني).

وبين الله تعالى أنه من صفات الأبرار:

فقال تعالى: «إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا» (الإنسان ٥ – ٨).

وأنه صدقة حتى ولو كان في أهله:

عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما أطعمتَ نفسَكَ فهوَ لكَ صدقةٌ، وما أطعمتَ ولَدَكَ فهوَ لكَ صدقةٌ، وما أطعمتَ زَوجَكَ فهوَ لكَ صدقةٌ، وما أطعمتَ خادمَكَ فهوَ لكَ صدقةٌ» (رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني).

وأنه يلين القلب:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتحبُّ أن يلينَ قلبُكَ، وتدركَ حاجتَكَ؟ ارحَم اليتيمَ، وامسَح رأسَه، أطعمْهُ من طَعامكَ ؛ يَلِنْ قلبُك، وتُدركْ حاجَتَكَ» (أورده المنذري في الترغيب والترهيب وحسنه الألباني).

وأنه سبب من أسباب النجاة من النار:

قال تعالى: «فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ» (البلد ١١- ١٦)

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: «وما أدراك ما العقبة فيه حذف، أي وما أدراك ما اقتحام العقبة». وهذا تعظيم لالتزام أمر الدين ؛ والخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - ليعلمه اقتحام العقبة. قال

القشيري: وحمل العقبة على عقبة جهنم بعيد إذ أحد في الدنيا لم يقتحم عقبة جهنم إلا أن يحمل على أن المراد فهلا صير نفسه بحيث يمكنه اقتحام عقبة جهنم غدا؟! واختار البخاري قول مجاهد: إنه لم يقتحم العقبة في الدنيا. قال ابن العربي: وإنما اختار ذلك لأجل أنه قال بعد ذلك في الآية الثانية: وما أدراك ما العقبة؟ ثم قال في الآية الثالثة: فك رقبة، وفي الآية الرابعة أو إطعام في يوم ذي مسغبة، ثم قال في الآية الخامسة: يتيما ذا مقربة، ثم قال في الآية السادسة: أو مسكينا ذا متربة فهذه الأعمال إنما تكون في الدنيا. المعنى: فلم يأت في الدنيا بما يسهل عليه سلوك العقبة في الآخرة». اهـ.

وقال ابن كثير في تفسيره: «وقوله: (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) قال ابن عباس: ذي مجاعة. وكذا قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وغير واحد. والسغب: هو الجوع. وقال إبراهيم النخعي: في يوم الطعام فيه عزيز، وقال قتادة: في يوم يشتهى فيه الطعام». اهـ.

وأنه سبب من أسباب دخول الجنة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يا رسولَ اللهِ إنِّي إذا رأيتُكَ طابتْ نفسي وقَرَّتْ عَيْني فأنبِئْني عن كلِّ شيءٍ، فقال: كلُّ شيءٍ خُلِقَ من الماءِ، فقلتُ له: أخبِرْني بشيءٍ إذا عمِلتُ به دَخَلْتُ الجنَّةَ، فقال: أفْشِ السَّلامَ وأَطعِمِ الطَّعامَ، وَصِلِ الأرحامَ وقُمْ بالليلِ والنَّاسُ نيامٌ وادخُلِ الجنَّةَ بسَلامٍ» (رواه أحمد وصححه أحمد شاكر).

وعنه أيضا رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أصبح منكم اليومَ صائمًا؟ قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا. قال: فمن تبع منكم اليومَ جنازةً؟ قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا. قال فمَن أطعم منكم اليومَ مسكينًا؟ قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا. قال: فمن عاد منكم اليومَ مريضًا. قال أبو بكرٍ رضِيَ اللهُ عنه: أنا. فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ما اجتمَعْنَ في امرئٍ، إلا دخل الجنَّةَ» (رواه مسلم).

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ في الجنَّةِ غُرَفًا يُرى ظاهرُها من باطنِها، وباطنُها من ظاهرِها، أعدَّها اللهُ لمَن أطعَم الطَّعامَ، وأفشَى السَّلامَ، وصلَّى باللَّيلِ والنَّاسُ نيامٌ». (أورده المنذري في الترغيب والترهيب، وقال عنه الألباني صحيح لغيره).

ورهب من ترك الحض على إطعام الطعام:

فقال تعالى: «كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ» (الفجر ١٧ - ١٨).

وبين أن تركه من التكذيب بالدين:

قال تعالى: «أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ» (الماعون ١ - ٣).

وأنه من أسباب دخول النار:

قال تعالى: «وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ» (الحاقة ٢٥ - ٣٥).

وقال تعالى: «مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ» (المدثر ٤٢ - ٤٤).

الوقفة الثانية: ثواب من فطر صائما:

عن زيد بن خالد الجهني قال: قال صلى الله عليه وسلم: «مَن فطَّر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء» (رواه الترمذي وابن ماجه،

وصححه الألباني).

المقصود بتفطير الصائم:

اختلف الفقهاء في المقصود بتفطير الصائم، على رأيين:

الرأي الأول: من فطره على أدنى ما يفطر به الصائم:

قال الخطيب الشربيني - رحمه الله - في " مغنى المحتاج ": «وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول حينئذ: ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى» ويستحب له أن يفطر الصائمين بأن يعشيهم؛ لخبر «من فطر صائما فله أجر صائم ولا ينقص من أجر الصائم شيء» رواه الترمذي وصححه. فإن عجز عن عشائهم فطرهم على شربة أو تمرة أو نحوهما لما روي أن بعض الصحابة قال: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم؟ فقال: يعطي الله تعالى هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن" وأن يكثر الصدقة "» اهـ. والحديث ضعفه الألباني.

وقال النووي - رحمه الله - في " المجموع شرح المهذب ": «يُسْتَحَبُّ أَنْ يَدْعُوَ الصَّائِمَ وَيُفَطِّرَهُ فِي وَقْتِ الْفِطْرِ، وَهَذَا لَا خِلَافَ فِي اسْتِحْبَابِهِ لِلْحَدِيثِ، قَالَ الْمُتَوَلِّي فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى عَشَائِهِ فَطَّرَهُ عَلَى تَمْرَةٍ أَوْ شَرْبَةِ مَاءٍ أَوْ لَبَنٍ، قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: إنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْسَ كُلُّنَا يَجِدُ مَا يُفَطِّرُ الصَّائِمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُعْطِي اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الثَّوَابَ مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا عَلَى تَمْرَةٍ أَوْ شَرْبَةِ مَاءٍ أَوْ مَزْقَةِ لَبَنٍ» اهـ.

وقال ابن مفلح - رحمه الله - في " الفروع ": «وَمَن فطر صائماً فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء صححه الترمذي من حديث زيد بن خالد، وظاهر كلامهم: أي شيء كان، كما هو ظاهر الخبر، وكذا رواه ابن خزيمة من حديث سلمان الفارسي وذكر فيه ثوابا عظيما إن أشبعه، وقال شيخنا: مراده بتفطيره أن يشبعه» اهـ.

وقال المناوي - رحمه الله - في " فيض القدير ": «من فطر صائماً بعشائه، وكذا بتمر، فإن لم يتيسر فبماء» اهـ.

الرأي الثاني: المراد بتفطيره أن يشبعه: قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في " الفتاوى الكبرى ": «والمراد بتفطيره: أن يُشبعه» اهـ.

الرأي الراجح: هو الرأي الثاني:

وذلك لأنه إذا شرب شربة ماء وأكل رطبات فقد أفطر، وزال عنه وصف الصائم، ويكون الإطعام الثاني لمفطر وليس لصائم، ولكن ليس معنى ذلك أن الثاني لا يحصل على ذات الأجر، بل يحصل عليه أيضا، ففضل الله واسع.

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - في " شرحه على رياض الصالحين ": «واختلف العلماء في معنى " من فطر صائما " فقيل إن المراد من فطّره على أدنى ما يفطر به الصائم، ولو بتمرة. وقال بعض العلماء: المراد بتفطيره أن يشبعه، لأن هذا هو الذي ينفع الصائم طول ليله، وربما يستغني عن السحور. لكن ظاهر الحديث أن الإنسان لو فطر صائما ولو بتمرة واحدة، فإن له أجره». ا.هـ.

الوقفة الثالثة: الدعاء بعد الإفطار:

أولا: من الصائم:

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كانَ رسولُ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّمَ: « إذا أفطرَ قالَ ذَهَبَ الظَّمأ وابتلَّت العُروقُ وثبَتَ الأجرُ إن شاءَ اللَّه» (رواه أبو داود وصححه الألباني).

ثانيًا: من المدعو:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّمَ جاءَ إلى سَعد بن عُبادةَ فجاءَ بخُبزٍ وزيتٍ فأكلَ ثمَّ قالَ النَّبيُّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّمَ: أفطرَ عندَكُم الصَّائمونَ، وأكلَ طعامَكم الأبرارُ، وصلَّتْ عليكُم الملائكةُ» (رواه أبو داود وصححه الألباني)، والله الموفق.

رمضان شهر الرحمة

الحمد لله رب العالمين، سبحانه وتعالى له الحمد الحسن والثناء الجميل، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم أجمعين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إعداد / عبد العزيز مصطفى الشامي

أما بعد؛ فإن فلاح العبد في صلاح قلبه واستقامته وإقباله على ربه وأنسه به، وطاعته والحرص على نَيل محبته، إلا أن العبد تعتريه آفات تبعده عن طريق الله تبارك وتعالى، فقد ينسى ويغفل أو يفرط ويذنب، ولا يخلو العبد بضعفه البشري من تقصير وذنب، وقد فتح الله ربنا سبحانه أبواب رحمته لعباده، ولم يقنِّط عباده من رحمته، فهو التواب الرحيم. (عدة الصابرين لابن القيم (١/ ٢٤٤)).

إن الله جل وعلا رحيم بنا، وهو سبحانه أرحم بنا من أنفسنا على أنفسنا، ورحمة الله تعالى وسعت وشملت كل شيء، قال الله تعالى: «وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ» (الأعراف: ١٥٦).

ومن العبادات التي شرعها الله رحمةً بالعباد أن فرض عليهم صيام شهر رمضان ففيه أسرار وحِكَم ورحمات كثيرة، وهو باب عظيم لقطع الغفلة وتذكير الناسي وعودة الشارد، وفيه يجمع الله شتات النفوس وغفلات القلوب، ويأخذ بأيدي عباده إلى واسع رحمته.

من أسرار الرحمة في رمضان:

لا شك أن رمضان موسم رحمة يرحم الله به الأمة، ولله ربنا نفحات مباركات في هذا الشهر الكريم نعرض لبعضها في عجالة فنقول وبالله تعالى التوفيق:

١- غفران ما تقدم من الذنب:

من رحمات الله تبارك وتعالى بالناس في شهر رمضان أنه جعل الصيام والقيام من مكفرات الذنوب لمن صام رمضان وقامه إيمانًا بالله واحتسابًا لله تعالى، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(متفق عليه: البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠)).

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(متفق عليه: البخاري (٣٧) واللفظ له، ومسلم (٧٥٩)).

قال الإمام النووي: «قوله صلى الله عليه وسلم (من قام رمضان إيمانا واحتسابا) معنى إيمانًا تصديقًا بأنه حق مقتصد فضيلته، ومعنى احتسابًا أن يريد الله تعالى وحده لا يقصد رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص»(شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (٦/ ٣٩)).

٢- جماعية الطاعة:

من صور الرحمة في رمضان اجتماع المسلمين على الطاعة، فلو أن الله تبارك وتعالى كلَّف كل واحد منا بصيام ٣٠ يومًا وحده وقيام ٣٠ ليلة منفردًا عمن حوله، لوجد صعوبة كبيرة وكان هذا العمل فيه مشقة عظيمة، ولكن من رحمة الله تبارك وتعالى بالأمة أن جعل الطاعة جماعية، ففي رمضان يصير الغالب على المجتمع حرصه على الصيام مع أعمال الطاعة والخير والبر، وما ذلك إلا بما أودعه الله في هذا الشهر من بركات، وتيسيره للناس سبل الخير عن غيره من الشهور.

٣- شهر وقاية ورحمة للبدن:

من رحمة الله تبارك وتعالى بالعباد أن جعل الصيام وقاية وحماية وتنظيفًا للبدن مما فيه من سموم وأدواء، ففي الصوم صحة البدن، وخلوصه من الأخلاط الرديئة..

إن البدن طوال العام مع العمل يكل ويملّ وقد تصاب أجهزة الجسم بالآلام والأسقام، والأفضل أن تستريح الأعضاء بعضًا من الأوقات لتستعيد نشاطها وقوتها مرة أخرى، فمن رحمة العزيز العليم أن جعل للمعدة

وقتاً تستريح فيه كما يستريح غيرها من الأعضاء.

٤- رحمة في تحديد الزمن:

اقتضت إرادة الله سبحانه أن يجعل الشهر القمري رمضان محلاً للصيام، ولهذا الشهر علامته الكونية الكبيرة، القمر بدءاً وانتهاءً يحمل في طياته عوامل الوضوح والثبات، فلا تستطيع سلطة أو جماعة أن تُخفيه أو تحرّف المسلمين عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «صُومُوا لِرُؤْيَتِه وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِه، فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ»(متفق عليه: البخاري (١٩٠٩) ومسلم (١٠٨١)).

واختيار السنة القمرية في التوقيت له فيها حِكَم عظيمة، فالسنة القمرية أقل من السنة الشمسية بحوالي عشرة أيام، فعلى هذا يتقدم شهر رمضان كل عام عنه في السنة الماضية عشرة أيام، وعلى هذا ففي خلال ستة وثلاثين عاماً لا يبقى يوم من أيام السنة إلا وقد صامه المسلم، يشهد له بصومه لربه.

٥- نداء رمضان: يا باغي الخير أقبل:

إن أبواب الأجر في الإسلام كثيرة، وإن أسباب اكتساب الحسنات متعددة، وفي شهر رمضان تتضاعف أجور الأعمال الصالحة، فضلاً من الله - عز وجل - على عباده، وينادي مناد في أول ليلة من رمضان فيقول: «يا باغي الخير! أقبل، ويا باغي الشر! أقصر»(رواه الترمذي (٦٨٢) والنسائي (٢١٠٧) وصححه الألباني).

٦- فتح أبواب الجنة وغلق أبواب النيران:

ومن رحمة الله بعباده في رمضان أن ساعدهم على الطاعات وهيأ لهم الوسائل المعينة على ذلك، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين»(متفق عليه: البخاري (١٧٩٩)، ومسلم (١٠٧٩)). ففي شهر رمضان المبارك يفتح الله سبحانه وتعالى أبواب الجنة على مصراعيها لكل تائب توبة نصوحة وفق شروطها الشرعية المعتبرة وتغلق بوجهه كل أبواب الجحيم.

٧- تصفيد الشياطين ومردة الجن:

ومن رحمات الله تبارك وتعالى بالناس في شهر رمضان المبارك تصفيد الشياطين الذين يسعون في الأرض فساداً. ففي الصحيحين: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ» فلا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون إلى غيره.

فالشياطين في رمضان يضعف سلطانهم على أهل الإيمان وأهل الصيام، ويقوى سلطان أهل الإيمان وإرادتهم للخير، فلا يتمكن الشياطين ولا يصلون إلى أهل الإيمان وأهل الصيام مثل ما كان يصلون إليه ويتمكنون منهم في غير رمضان، بخلاف الكفار الذين لا يراعون حرمة لشهر رمضان، فليسوا داخلين في هذا الحديث، ففي شهر رمضان يقوى إرادة المؤمنين للخير، وتضعف إرادتهم للشر.

٨- الاستيقاظ بالأسحار:

الليل واحة المتقين، تصفو فيه النفوس ، ويتوجه العبد للقاء الحي القيوم، والسَّحَر وقت شريف، يقترب الله جل وعلا من عباده، لعلهم يتوبون أو يناجون ربهم ويُنزلوا حاجتهم به، ويستغفروه ويتوبوا إليه، ولكن كثيرًا من المسلمين طوال العام يكونون نائمين في هذا الوقت الشريف، فإذا جاء رمضان قاموا إلى السحور فذكروا ربهم وصلوا ركعتين في جوف الليل ودعوا ربهم واستغفروه.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»(متفق عليه: البخاري (١٠٩٤)، ومسلم (٧٥٨)).، استجابوا لنصيحة نبيهم صلى الله عليه وسلم حين نادى فيهم: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن» (صحيح سنن الترمذي للألباني (٣٥٧٩)).

أيها العبد المتلهف لغيث الرحمات: دمعة في ليل رمضان كقطرة الندى، تجلي الغشاوة والصدى، تنير درب المسير، تحلي الطعم المرير، ترضي الإله القهار، ترفع عن قلبك الران، إن ذقت طعمها فلن تنساها، فترقب الليل حتى تلقاها.

أسأل الله أن يستعملنا في طاعاته وأن يمنَّ علينا بالقبول والعفو والعافية، وأن يسبل علينا عافيته ومغفرته ورحماته، والحمد لله رب العالمين.



رمضان فرصة للتغيير

إعداد/ د/تامر سعد الغزاوي
مدرس علم اللغة -جامعة قناة السويس

الحمد لله الذي أنعم على الأمة بتمام إحسانه، وعاد عليها بفضله وامتنانه، وجعل شهر رمضان مخصوصا بنعيم غفرانه (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) البقرة/١٨٥.

أحمده على ما خصنا به فيه من الصيام والقيام، وأشكره على بلوغ الآمال وسبوغ الإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا أفضل خلقه صلى الله عليه وسلم .. وبعد..

التغيير في النفوس والأمم والشعوب قضية بالغة الأهمية، سنة من سنن الله في الكون؛ وضع الملكُ جلّ جلاله أساسَها ومحورها الرئيس لكي لا نذهب بعيدا باحثين عن حلول؛ قال جلّ شأنه (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) الرعد/١١.

ومعنى هذه الآية كما قال ابن السعدي -رحمه الله-: "أن الله لا يغير ما بقوم من النعمة والإحسان ورغد العيش حتى يغيروا ما بأنفسهم بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى المعصية، أومن شكر نعم الله تعالى إلى البطر بها؛ فيسلبهم الله إياها عند ذلك".

فتغيير الحال لا يكون بالتمني والأماني، ولكن بالعمل الجاد، والنية الخالصة، والسلوك القويم، فمن أراد أن يصل إلى بر الأمان وشاطئ السلامة فعليه أن يعد الزاد من التقوى والعمل الصالح، وأن يحكم السفينة ويتعهد الراحلة، وإلا كما قال القائل:

ترجو السلامة ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تمشي على اليبس

أقبل علينا رمضان والأمة مثخنة بالجراح والآلام من القدس الأسير، والعراق الباكية، مرورا بسوريا الممزقة، واليمن المقطع أوصاله، وغيرها من بلاد المسلمين المحطمة الدامية، وتكالب الأعداء علينا من كل حدب وصوب من الشيعة الرافضة واليهود اللئام وغيرهما ممن يرصدون المسلمين لتمزيق البلاد وشتات العباد.

والكل يصرخ وينادي ما الحل لأزماتنا والضر الذي حل بنا؟

فنقول لكل مسلم غيور: هذا رمضان فرصة مواتية للتغيير وإصلاح النفوس والقلوب؛ وليعلم كل منا أنه يساهم فيما نحن فيه بقسط وافر من تردي الحال وتأخر النصر إذا لم ينتهز فرصة رمضان لزيادة رصيده من الصالحات، وتصفية ما عليه من الآثام، حيث هو لبنة في بناء الأمة التي وعد الله بتغيير واقعها إلى الأحسن، وحالها إلى الأفضل واستخلافها في الأرض ولابد إن هم غيروا ما بأنفسهم.

لا تقل: من أين أبدأ ... طاعة الله البداية
لا تقل: أين طريقي ... شرعة الله الهداية
لا تقل: في الغد أبدأ ... ربما تأتي النهاية

فإذا كان شهر رمضان قد أحدث في هذا الكون الشامخ تغييرا ملموسا لا ينكره أحد، إذ فُتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين، وتنزل الملائكة مشاركين في سيدة الليالي ليلة القدر يملئون الأرض،

حصلت هذه التغييرات الكونية في سيد الشهور بإذن الله تعالى؛ أفلا تتغير حياتنا إلى أفضل حال في شهر مُنح من الخصائص ما يعجز عن تدوينه المداد؟!

والتغيير الإيجابي ليس بالأمر السهل إنما يحتاج منا جميعا إلى إرادة فولاذية، وعزيمة قوية، وقرار شجاع وسعي للتغيير.

انظروا إلى قصة من قتل مائة نفس، كيف وفقه الله تعالى إلى طريق التوبة، حينما بدأ يسأل ويلحّ في السؤال، ويبحث عن مخرج مما هو فيه، حينها هيأ الله له الخلاص، ورزقه توبة في آخر حياته، إن الله جلّ وعلا لم يكتب القرب من أحد إلا بسعي منه وإقبال.

رمضان فرصة للتغيير...

فلنصلح أنفسنا، ولنهذبها، ونغير من عاداتها القبيحة إلى عادات حسنة، فإن غاية الصيام معالجة النفس وإصلاحها لتكتسب بعده الإرادة الصارمة، والعزيمة الجادة على طريق الإصلاح؛ قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) البقرة /١٨٣.

وتلكم الجملة البسيطة من المبتدأ والخبر حدّدت الهدف وركزت في المضمون والمطلوب؛ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -:"الصيام جُنّة" (أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، حديث ١٦٣)؛ أي: وقاية للصائم من المعاصي والأمراض النفسية والجسدية.

فالصوم يقوي إرادة الصائم، ويضعف إرادة الشيطان، فيكون الصائم في مأمن من وساوسه وهواجسه ومغرياته ونزعاته، ويجعله قادرا على كبح جماح نفسه، والتغلب على نزواته الطائشة.

والصوم يمكّن الصائم من الصبر على المكاره ومواجهة الشدائد بصدر رحب وقلب مطمئن، ويطهر قلبه من الآفات التي تبعث على الحقد والحسد والرياء والغرور والغضب، ويحمله على كظم الغيظ والعفو والصفح والتسامح؛ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -" صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يُذهبن وَحَرَ الصدر"(صححه الألباني في صحيح الجامع ٣٨٠٤).

والمقصود بـ"وَحَر الصدر" وساوس الشيطان وما يصيب قلب الإنسان من غيظ وكدر".

ومع هذه التخلية من تلك الآفات والتي تصاحبها تحلية بطاعات رمضان موسم الخير يخرج الواحد فينا إنسانًا جديدًا يريد أن يبدأ حياة جديدة من الصفاء والنقاء، حياة ممتعة ماتعة مع الله تعالى في كل نواحي الحياة عبادة وخلقا ومعاملة وفي كل شيء.

رمضان شهر التغيير...

فلنصلح ألسنتنا ونطهرها، فهي أخطر جوارح الإنسان، صغيرة الحجم، عظيمة الجرم، فبالصيام يسلم اللسان من قول الزور، ويسلم من العمل به، ويسلم من اللعن، ومن الباطل، ومن الكذب، ومن الغيبة والنميمة وغيرها، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه "(أخرجه البخاري -كتاب الصوم - باب: من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم - حديث ١٨٠٤).

وهكذا بقية الجوارح، وبقية الأعمال، تصلح وتتغير نحو الأفضل لمن صدق مع خالقه، فيصدقه فيما يعمل.

رمضان فرصة للتغيير..... والصيام جُنة... فليصم بصرُك وسمعك وبطنك وفرجك ويدك ورجلك وكل كيانك المادي والمعنوي عن المحرمات.

وحسبك قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: "اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم "(أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم والبيهقي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١٤٧٠).

فلنغتنم شهر التغيير...ولنترك ما ألفته النفس من لهو وهوى، ولنصل أرحامنا، ولننظم أوقاتنا ولنعش في رحاب الله قرآنه ومنهاجه؛ لكي تُشحن القلوب بالروحانيات والإيمانيات بقية العام، بل حتى يأتينا اليقين، ولتتعود النفس على نظام وضعه لها خالقها وربها حتى تسعد ولا تشقى وتربح ولا تخسر دنيا وآخرة (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ).

فمن وجد الله فماذا فقد؟ ومن فقد الله فماذا وجد؟ هيا فلنغتنم شهر التغيير ونلجأ إلى الله لجوء المضطرين المستغيثين المنيبين؛ فهو وحده المغيث المجيب لمن دعاه.

يا رب سر بنا في سرب النجابة، ووفقنا للتوبة والإنابة، وافتح لأدعيتنا أبواب الإجابة، يا من إذا سأله المضطر أجابه.

وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وآله وصحبه وسلم.



من فقه نوازل الصيام

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعدُ:

فهناك نوازل كثيرة تتعلق بأحكام الصيام وأكثرها يتعلق بالمفطرات المعاصرة، وأيضًا ما يتعلق بالسفر واستخدام وسائل النقل الحديثة، وسوف نتناول في هذا البحث مسألتين يكثر السؤال عنهما وهما مختصتان بالمسافرين.

١- تعريف الصيام:

الصيام في اللغة: مصدر صام يصوم، ومعناه أمسك، ومنه قوله تعالى: (فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا) (مريم:٢٦)، فقوله: «صَوْماً» أي: إمساكاً عن الكلام.

الصيام في الشرع: هو التعبد لله سبحانه وتعالى بالإمساك عن الأكل والشرب، وسائر المفطرات، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. (الشرح الممتع ١٨٨/٦).

٢- تعريف النوازل:

النوازل في اللغة: جمع نازلة، وهي اسم فاعل وتطلق على المصيبة الشديدة من شدائد الدهر التي تنزل بالناس.

وأما في الاصطلاح: فاختلف المتأخرون في تعريفها على عدة تعريفات وأقرب هذه الأقوال: أن النازلة في الاصطلاح: «هي الحادثة الجديدة التي تحتاج إلى حكم شرعي» والحادثة الجديدة « أي: ما يَجِدُّ من الوقائع والمسائل التي تستدعي إلى بيان حكمها الشرعي بالاجتهاد عند أهل العلم. (فقه النوازل في العبادات خالد المشيقح ص٣).

المسألة الأولى: السفر من بلد إلى بلد يختلفان في الرؤية:

هذه المسألة ليست جديدة ولا نازلة على الحقيقة لكن لما تيسرت في هذا الزمن وسائل المواصلات وأصبح الانتقال كثيرًا جدًا أصبحت من المسائل التي تعم بها البلوى فكأنها بالنسبة

للناس من النوازل، وإلا فالمسألة قديمة وقد تكلم عليها أهل العلم قديمًا، وهي مسألة ما إذا انتقل الإنسان من بلد إلى بلد آخر قد اختلفت رؤية البلد الأول عن البلد الثاني وقد يترتب على هذه الأمر أن الإنسان يسافر من بلد إلى بلد فتختلف بداية الشهر بين البلدين، فإذا اختلفت البداية ربما تختلف النهاية، فقد يترتب على ذلك أن الإنسان إذا صام مع البلد الثاني الذي انتقل إليه قد يصوم واحدا وثلاثين يوماً وقد يحدث العكس وهو ما إذا تقدمت رؤية البلد الذي قدم إليه فقد يصوم ثمانية وعشرين يومًا. (فقه نوازل الصيام ص٤٧).

وصور هذه المسألة هي:

الصورة الأولى: انتقل من بلد صام أهله يوم الأحد -مثلاً- إلى بلد صام أهله يوم السبت، وأفطروا يوم الأحد عن تسعة وعشرين يوماً، فمعنى ذلك أنه سيصوم ثمانية وعشرين يومًا فقط.

الصورة الثانية: انتقل من بلد صام أهله يوم الأحد -مثلاً- إلى بلد صام أهله يوم الاثنين، وأفطروا يوم الأربعاء عن ثلاثين يومًا. فيكون صومهم ثلاثين يوماً، ولو صام معهم يكون صومه واحدًا وثلاثين يوماً.

الصورة الثالثة: انتقل من بلد صام أهله يوم الأحد -مثلاً- إلى بلد صام أهله يوم الاثنين، وأفطروا يوم الثلاثاء عن تسعة وعشرين يوماً، فيكون صومهم تسعة وعشرين يوماً، وصومه ثلاثين يوماً.

الصورة الرابعة: انتقل من بلد صام أهله يوم الأحد -مثلاً-، وأفطروا يوم الثلاثاء عن ثلاثين يوماً إلى بلد صام أهله يوم الأحد وأفطروا يوم الاثنين عن تسعة وعشرين يومًا، فيكون أتم تسعة وعشرين يوماً. «مجموع فتاوى ابن عثيمين» (٦٩/١٩).

السؤال هو: هذا الذي سافر من بلده إلى بلد آخر يتبع من؟

إذا سافر الرجل من بلد إلى بلد اختلف مطلع الهلال فيهما، فقول الجمهور أن يكون صيامه وإفطاره حسب البلد الذي هو فيه حين ثبوت الشهر، وهذا هو ضابط الباب في ذلك حتى لو ترتب على ذلك أن يصوم واحدًا وثلاثين يوماً أو ثمانية وعشرين يومًا، فإذا أفطروا أفطر معهم، وقد استدلوا على ذلك بعدد من الأدلة؛ من أصرح هذه الأدلة ما رواه الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون، والأضحى يوم تضحون» (ح٦٩٧)، وأيضًا قول النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته». (البخاري: ١٩٠٩، ومسلم: ٢٥٦٧). فالأصل أن الإنسان يصوم لرؤية الهلال ويفطر لرؤية الهلال، ويكون تابعًا للبلد الذي ذهب إليه.

وعلى ذلك ففي الصورة الأولى يفطر معهم ويلزمه قضاء يوم. دليل وجوب فطره هنا أنه رئي الهلال، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيتموه فأفطروا»، ودليل وجوب قضاء اليوم قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما الشهر تسع وعشرون»، فلا يمكن أن ينقص عن تسع وعشرين ليلة وفي الصورة الثانية، فيبقى صائمًا معهم ولو زاد على ثلاثين يومًا؛ لأنه في مكان لم ير الهلال فيه، فلا يحل له الفطر. ودليل وجوب بقائه صائمًا فوق الثلاثين هنا قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتموه فأفطروا) فعلق الفطر بالرؤية، ولم تكن فيكون ذلك اليوم من رمضان في ذلك المكان فلا يحل فطره.

وفي الصورة الثالثة فيفطر معهم ويكون صومهم تسعة وعشرين يومًا، وصومه ثلاثين يومًا.

وفي الصورة الرابعة فيفطر معهم، ولا يلزمه قضاء يوم ؛ لأنه أتم تسعة وعشرين يومًا.

وأما حكم الصورة الثالثة والصورة الرابعة فواضح. وهذا مبني على القول الراجح من

اختلاف الحكم باختلاف المطالع، أما على القول بأنه لا يختلف الحكم بذلك وأنه متى ثبتت رؤيته شرعًا بمكان لزم الناس كلهم الصوم أو الفطر فإن الحكم يجري على حسب ثبوته لكن يصوم أو يفطر سرًّا لئلا يظهر مخالفة الجماعة « «مجموع فتاوى ابن عثيمين» (١٩/٦٩).

المسألة الثانية:

وهي السفر بالطائرة ونحوها بعد مغيب الشمس أو قبله. وهذه عبارة عن صورتين:

الصورة الأولى:

أن تغرب الشمس على الإنسان في بلده، ثم يفطر ثم يركب الطائرة فتطلع عليه الشمس فما الحكم بالنسبة له؟

الحكم بالنسبة له أنه صام بدليل شرعي «ثم أتموا الصيام إلى الليل» وأفطر بدليل شرعي وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم». (متفق عليه)، فهذا قد أفطر بيقين وبدليل شرعي، وبالتالي فرؤيته للشمس بعد ذلك لا تضرَ ولا يجب عليه الإمساك مرة أخرى، فهو كما لو غربت الشمس ثم صعد على جبل مثلا ورأى الشمس مرة أخرى، فهذا لا يؤثر لأنه تم له هذا اليوم وهو تمامًا مثل لو أن الإنسان كان في الصحراء وفاقدا للماء ثم تيمم وصلى وبعد الصلاة جاءت سيارة معها ماء هل نقول يعيد صلاته مرة أخرى؟ نقول: لا، الصلاة صحت لأنه أداها بدليل شرعي وهو التيمم عند فقد الماء، فكونه يزول العذر بعد ذلك لا يؤثر، وبالتالي فلا يجب عليه الإمساك. (فقه نوازل الصيام ص٤٧).

الصورة الثانية: أن يسافر الصائم قبيل غروب الشمس في بلده بزمن يسير إلى جهة المغرب فيتأخر غروب الشمس بالنسبة له كما إذا كانت الشمس تغرب في بلده الساعة السادسة مساءً وقبيل السادسة بعشر دقائق ركب الطائرة مسافرًا إلى المغرب فكل ما مشى في هذا الطريق كلما طال النهار فالشمس لا تغرب في المغرب إلا الساعة الثامنة فبقي ساعة أو ساعتان والشمس طالعة فما نقول له؟ نقول: لا يفطر حتى تغرب الشمس حتى لو زاد عليه ساعتان أو أربع أو خمس أو أكثر فهو بالخيار إما أن يأخذ حكم المسافر فيفطر ترخصًا، وإما أن يمسك إذا أراد لصومه أن يتم؛ لأن القرآن جعل للفطر حدًا «ثم أتموا الصيام إلى الليل»، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:«إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم» (فقه نوازل الصيام ص٤٧).

وعلى ذلك فالمسافر لا يراعى في موعد فطره توقيت بلده الأصلي الذي غادره، ولا توقيت البلد الذي يقصده، وإنما يراعي مشاهدته غروب الشمس عليه، سواء كان على الأرض أو على جبل أو مرتفعًا في الهواء، ولكن إذا ترتب على توجه طائرته نحو الغرب تأخر الغروب وطول الزمن بحيث يجهده البقاء صائمًا فإنه يفطر للمشقة وعليه الإعادة.

نسأل الله تعالى أن يتقبل صيامنا، وأن نكون من الفائزين في هذا الشهر الكريم.

إنا لله وإنا إليه راجعون

تحتسب جماعة أنصار السنة المحمدية الشيخ محمود جابل عبد العزيز، رئيس فرع القبيلة، وذلك يوم ٦ رجب ١٤٣٦هـ.

وقد أمضى- الشيخ رحمه الله- عمره في الدعوة، وتجديد فرع القبيلة وتوسعته مع إخوانه بالفرع.

نسأل الله تعالى أن يغفر له، وأن يرحمه، وأن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقًا.

فتاوى

الأزهر الشريف

جواز الفطر للضعيف المريض

السؤال: بالطلب المقدم من السيدة (ك م م) المتضمن أنها سيدة ضعيفة ومريضة، ولكنها متمسكة بدينها، وإذا صامت فقدت الوعي، ولا تشعر إلا بالماء الذي يُسكب عليها لإعادة وعيها، وطلبت السائلة الإفادة عما إذا كان يجوز لها الفطر شرعًا، وما هي الكفارة التي تفدي بها الصيام إن كان يجوز لها الفطر؟

الجواب: إنه يجب الصوم على المكلف القادر عليه رجلاً أو امرأة، دون ضرر يلحقه، أو مشقة ترهقه، وقد أباح الشارع للمريض الذي يخاف الضرر على نفسه بزيادة المرض، أو تأخر البرء أن يفطر ويقضي عدة ما أفطره من أيام أُخَر، والمراد بخوف الضرر الذي يبيح الفطر هو تيقنه أو غلبة ظنه، وذلك بالتجربة الشخصية أو إخبار الطبيب الأمين الذي لا يُعرَف بالتهاون الديني.

أما الخوف الناشئ عن مجرد الوهم أو التمثيل فلا يبيح الفطر، فإذا كانت السائلة قد تيقنت أو غلب على ظنها بالتجربة الشخصية أو إخبار الطبيب الأمين أن الصوم يزيد مرضها أو يضرها؛ جاز لها الفطر شرعًا على أن تقضي ما فاتها صومه بعد الصحة، وإذا كان الطبيب قد أخبرها أن مرضها سيستمر طوال حياتها جاز لها أن تفدي بإطعام مسكين عن كل يوم من الأيام التي تفطرها، وتأخذ حكم الشيخ الفاني الذي لا يستطيع الصيام، فإذا برئت من مرضها، وقدرت على الصيام وجب عليها القضاء، ولا اعتبار للفدية التي تكون قد أخرجتها قبل ذلك؛ لأنه يُشترط لجواز الخلف وهو الفدية دوام العجز عن الصيام، أما إذا كان الصوم لا يزيد من مرضها، ولا يؤخر برأها وهي تستطيع الصوم بلا جهد ولا مشقة؛ فلا يباح لها الفطر، والله أعلم.

(المفتي الشيخ: حسن مأمون).

الصوم في بلاد يطول فيها النهار عن حد الاعتدال

السؤال: من السيد / م ح أ المدرس المساعد بكلية الشرطة بالقاهرة والسيد / س ح أ المدرس المساعد بكلية الزراعة- جامعة عين شمس عن الطلبة المصريين المبعوثين للدراسة بجمهورية ألمانيا الاتحادية- بطلبه المتضمن:

١- إن أذان الفجر عندهم في ألمانيا يبدأ الساعة الثانية والنصف صباحًا وأذان المغرب في تمام العاشرة إلا ربع مساء؛ مما يؤدي إلى جعل مدة الصيام عندهم حوالي ١٩ ساعة؛ وذلك يسبب إجهادا لهم مما قد يؤثر على تحصيلهم وأعمالهم.

٢- أوقات دراستهم متواصلة وتبدأ من ٨ صباحا حتى ٦ مساء.

ويسألان هل يمكنهم أن يصوموا على أوقات الصيام في القاهرة أم كيف يصومون هناك؟

الجواب:

قال تعالى « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ » (البقرة: ١٨٣- ١٨٤).

بهذه النصوص القرآنية الكريمة فرض الله سبحانه وتعالى صوم شهر رمضان على المسلمين، فهو خطاب عام لجميع المسلمين في كل زمان ومكان.

ولم يقصد الإسلام بتكاليفه للناس عنتًا ولا إرهاقا ولا مشقة «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» (الحج: ٨٧) ومن تيسير الله على عباده أنه حرَّم بعض المطعومات، ومع هذا رخَّص لمن أشرف على الهلاك أو خاف الضرر بجوع أو عطش أن يأكل أو يشرب مما حرمه الله بقدر ما يحفظ عليه حياته.

قال تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥).

وصوم رمضان جاء على هذه السُّنَّة الرحيمة فهو مفروض على كل مقيم صحيح قادر عليه دون ضرر في بدنه أو كسبه، وأبيح للمريض والمسافر الإفطار مع وجوب القضاء، ورُخص في الإفطار دون قضاء لمن يشقّ عليه الصيام لسبب لا يُرجى زواله، ومنه ضعف الشيخوخة، والمرض المزمن، والعمل الشاق المستمر طوال العام على أن يؤدي فديةً هي الإطعام عن كل يوم مسكينًا واحدًا بما يشبعه في وجبتين طعامًا متوسطًا.

وحين فرض الله سبحانه وتعالى صوم رمضان بيّن بدء الصوم ونهايته يوميًا فقال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (البقرة: ١٨٧).

وبهذه العبارة من الآية الكريمة تحدد النهار المفروض صومه، وهو من طلوع الفجر الصادق بظهور النور المستطير في الأفق إلى دخول الليل بغروب الشمس؛ كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم».

وإذا كان الصوم موقوفًا هكذا بالشهر وباليوم، وكان الخطاب موجهًا إلى المسلمين أيًا كانت مواقعهم على أرض الله دون تفرقة بين جهة يطول ليلها أو يستمر الليل أو النهار دائمًا، وجب على الجميع صومه متى تحققت فيهم شروطه التي بيّنها الله سبحانه وتعالى في آيات الصوم، وأوضحها الرسول في أحاديثه وعمله وتقريره.

ولما ظهر بعد عصر الرسالة أن على الأرض جهات يطول فيها النهار حتى لا يكون ليلها إلا جزءًا يسيرا- أو يطول ليلها حتى لا يكون النهار فيها إلا ضوءا يسيرا، وجهات يستمر فيها الليل نصف العام، بينما يستمر النهار النصف الآخر، وجهات أخرى على العكس من ذلك؛ لما ظهر هذا اختلف الفقهاء في مواقيت العبادات في تلك البلاد، وهل تتوقف على وجود العلامات الشرعية أو يقدر ويحسب لها.

ومضمون الخلاف في الحالة التي نحن بصددها في السؤال؛ حيث يطول النهار في ألمانيا الاتحادية عن حد الاعتدال، مما يسبب إرهاقا شديدًا للمسلمين بها في صيامهم رمضان؛ فإننا نرى أن يقدر أهل هذه البلاد للصيام زمنًا معتدلاً، فيصوموا قدر الساعات التي يصومها المسلمون في أقرب البلاد المعتدلة إليهم، أو يتخذوا من مواقيت البلاد المعتدلة التي نزل فيها التشريع الإسلامي (مكة والمدينة) معيارًا للصوم، فيصوموا قدر الساعات التي يصومها المسلمون في واحدة من هاتين المدينتين، على أن يبدأ الصوم من طلوع الفجر الصادق حسب موقعهم إلى الأرض دون نظر أو اعتداد بمقدار ساعات الليل أو النهار، ودون توقف في الفطر على غروب الشمس، أو اختفاء ضوئها بدخول الليل فعلاً، وذلك اتباعا لما أخذ به الفقهاء في تقدير وقت الصلاة والصوم، وامتثالاً لأوامر الله وإرشاده في القرآن الكريم رحمة بالعباد قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، صدق الله العظيم، والله سبحانه وتعالى أعلم. (المفتي الشيخ: عبد اللطيف حمزة).

الصيام عن الميت

السؤال: توفي والدي، وعرفنا أنه أفطر شهر رمضان في بعض السنوات ولم يقض ما فاته، فماذا نفعل، هل نصوم عنه أو نخرج فدية؟

الجواب: روى البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»، وصح عندهما أيضًا أن امرأة قالت: يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صيام نذر، أفأصوم عنها؟ فقال: «أرأيت لو كان على أمك دَيْن فقضيته أكان يؤدي ذلك عنها»؟ قالت: نعم، قال: «فصومي عن أمك».

هذان الحديثان حجة قوية للذين يرون من الفقهاء أن من مات وعليه صيام، سواء أكان صيام رمضان أم صيام نذر، يصوم عنه وليه، والولي هو كل قريب، سواء أكان وارثا أم غير وارث، وقيل: يجوز أن يصوم عنه غير وليه من الأصدقاء مثلا، كالدَّين لا يختص بسداده القريب.

وذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي في القول الجديد إلى أن الميت لا يُصام عنه مطلقًا، متمسكين بقول ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه النسائي بإسناد صحيح: «لا يصلي أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد». وبقول عائشة رضي الله عنها: «لا تصوموا عن موتاكم، وأطعموا عنهم»، وقد أخرجه عبد الرزاق في

مصنفه. لكن هذين الأثرين لا يعارضان ما هو أقوى منهما، وهو رواية البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ولي الميت يصوم عنه.

وقال عبد الحق في أحكامه: «لا يصح في الإطعام شيء، يعني مرفوعًا»، وكذا قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ومن أراد توضيحًا أكثر فليرجع إلى «نيل الأوطار للشوكاني ج٤ ص ٢٤٨- ٢٥١».

(المفتي الشيخ: عطية صقر).

قرار مجمع الفقه الإسلامي بشأن المفطرات في مجال التداوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

قرار رقم: ٩٣ (١٠/١) (مجلة المجمع، العدد العاشر ٢/٧)

بشأن المفطرات في مجال التداوي

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد في دورة مؤتمره العاشر بجدة بالمملكة العربية السعودية خلال الفترة من ٢٣ - ٢٨ صفر ١٤١٨هـ الموافق ٢٨ حزيران (يونيو) - ٣ تموز (يوليو) ١٩٩٧م.

بعد اطلاعه على البحوث المقدمة في موضوع المفطرات في مجال التداوي، والدراسات والبحوث والتوصيات الصادرة عن الندوة الفقهية الطبية التاسعة التي عقدتها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، بالتعاون مع المجمع وجهات أخرى، في الدار البيضاء بالمملكة المغربية في الفترة من ٩ - ١٢ صفر ١٤١٨هـ الموافق ١٤-١٧ حزيران (يونيو) ١٩٩٧م، واستماعه للمناقشات التي دارت حول الموضوع بمشاركة الفقهاء والأطباء، والنظر في الأدلة من الكتاب والسنة، وفي كلام الفقهاء،

قرر ما يلي:

أولاً: الأمور الآتية لا تعتبر من المفطرات:

١- قطرة العين، أو قطرة الأذن، أو غسول الأذن، أو قطرة الأنف، أو بخاخ الأنف، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٢- الأقراص العلاجية التي توضع تحت اللسان لعلاج الذبحة الصدرية وغيرها إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٣- ما يدخل المهبل من تحاميل (لبوس)، أو غسول، أو منظار مهبلي، أو إصبع للفحص الطبي.

٤- إدخال المنظار أو اللولب ونحوهما إلى الرحم.

٥- ما يدخل الإحليل أي مجرى البول الظاهر للذكر والأنثى، من قسطرة (أنبوب دقيق) أو منظار، أو مادة ظليلة على الأشعة، أو دواء، أو محلول لغسل المثانة.

٦- حفر السن، أو قلع الضرس، أو تنظيف الأسنان، أو السواك وفرشاة الأسنان، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٧- المضمضة، والغرغرة، وبخاخ العلاج الموضعي للفم إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٨- الحقن العلاجية الجلدية أو العضلية أو الوريدية، باستثناء السوائل والحقن المغذية.

٩- غاز الأكسجين.

١٠- غازات التخدير (البنج) ما لم يعط المريض سوائل (محاليل) مغذية.

١١- ما يدخل الجسم امتصاصًا من الجلد كالدهانات والمراهم واللصقات العلاجية الجلدية المحملة بالمواد الدوائية أو الكيميائية.

١٢- إدخال قسطرة (أنبوب دقيق) في الشرايين لتصوير أو علاج أوعية القلب أو غيره من الأعضاء.

١٣- إدخال منظار من خلال جدار البطن لفحص الأحشاء أو إجراء عملية جراحية عليها.

١٤- أخذ عينات (خزعات) من الكبد أو غيره من الأعضاء ما لم تكن مصحوبة بإعطاء محاليل.

١٥- منظار المعدة إذا لم يصاحبه إدخال سوائل (محاليل) أو مواد أخرى.

١٦- دخول أي أداة أو مواد علاجية إلى الدماغ أو النخاع الشوكي.

١٧- القيء غير المتعمد بخلاف المتعمد (الاستقاءة).

ثانيًا: ينبغي على الطبيب المسلم نصح المريض بتأجيل ما لا يضر تأجيله إلى ما بعد الإفطار من صور المعالجات المذكورة فيما سبق.



الآن
المجلد الجديد بمقر مجلة التوحيد
١٤٣٥
التوحيد
موسوعة علمية لاتخلو منها مكتبة ويحتاج اليها كل بيت
سارع بحجز نسختك من المجلد الجديد
١٤٣٥
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
الموسوعة الآن أصبحت ٤٣ مجلداً
الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، ثلاثة وأربعون عاماً من مجلة التوحيد .
أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد.
استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقَدَّم ، فقط ادفع ٨٥٠ جنيهاً بعد الاستلام على ثمانية أشهر.
من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له
أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزكى من الفرع .
التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٣ مجلداً
23936517

رمضان كريم

١٤٣٦هـ

اليوم	ميلادي	رمضان	فجر	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الخميس	٢٠١٥/٦/١٨	١	٣,٠٧	١١,٥٦	٣,٣٢	٦,٥٨	٨,٣٢
الجمعة	٢٠١٥/٦/١٩	٢	٣,٠٧	١١,٥٦	٣,٣٢	٦,٥٩	٨,٣٢
السبت	٢٠١٥/٦/٢٠	٣	٣,٠٨	١١,٥٦	٣,٣٢	٦,٥٩	٨,٣٣
الأحد	٢٠١٥/٦/٢١	٤	٣,٠٨	١١,٥٧	٣,٣٢	٦,٥٩	٨,٣٣
الاثنين	٢٠١٥/٦/٢٢	٥	٣,٠٨	١١,٥٧	٣,٣٢	٦,٥٩	٨,٣٣
الثلاثاء	٢٠١٥/٦/٢٣	٦	٣,٠٨	١١,٥٧	٣,٣٣	٧,٠٠	٨,٣٣
الأربعاء	٢٠١٥/٦/٢٤	٧	٣,٠٩	١١,٥٧	٣,٣٣	٧,٠٠	٨,٣٣
الخميس	٢٠١٥/٦/٢٥	٨	٣,٠٩	١١,٥٧	٣,٣٣	٧,٠٠	٨,٣٣
الجمعة	٢٠١٥/٦/٢٦	٩	٣,٠٩	١١,٥٨	٣,٣٣	٧,٠٠	٨,٣٤
السبت	٢٠١٥/٦/٢٧	١٠	٣,١٠	١١,٥٨	٣,٣٤	٧,٠٠	٨,٣٤
الأحد	٢٠١٥/٦/٢٨	١١	٣,١٠	١١,٥٨	٣,٣٤	٧,٠٠	٨,٣٤
الاثنين	٢٠١٥/٦/٢٩	١٢	٣,١٠	١١,٥٨	٣,٣٤	٧,٠٠	٨,٣٤
الثلاثاء	٢٠١٥/٦/٣٠	١٣	٣,١١	١١,٥٨	٣,٣٤	٧,٠٠	٨,٣٣
الأربعاء	٢٠١٥/٧/١	١٤	٣,١١	١١,٥٩	٣,٣٤	٧,٠٠	٨,٣٣
الخميس	٢٠١٥/٧/٢	١٥	٣,١٢	١١,٥٩	٣,٣٥	٧,٠٠	٨,٣٣
الجمعة	٢٠١٥/٧/٣	١٦	٣,١٢	١١,٥٩	٣,٣٥	٧,٠٠	٨,٣٣
السبت	٢٠١٥/٧/٤	١٧	٣,١٣	١١,٥٩	٣,٣٥	٧,٠٠	٨,٣٣
الأحد	٢٠١٥/٧/٥	١٨	٣,١٣	١١,٥٩	٣,٣٥	٧,٠٠	٨,٣٣
الاثنين	٢٠١٥/٧/٦	١٩	٣,١٤	١٢,٠٠	٣,٣٥	٧,٠٠	٨,٣٢
الثلاثاء	٢٠١٥/٧/٧	٢٠	٣,١٥	١٢,٠٠	٣,٣٦	٧,٠٠	٨,٣٢
الأربعاء	٢٠١٥/٧/٨	٢١	٣,١٥	١٢,٠٠	٣,٣٦	٧,٠٠	٨,٣٢
الخميس	٢٠١٥/٧/٩	٢٢	٣,١٦	١٢,٠٠	٣,٣٦	٧,٠٠	٨,٣٢
الجمعة	٢٠١٥/٧/١٠	٢٣	٣,١٧	١٢,٠٠	٣,٣٦	٦,٥٩	٨,٣١
السبت	٢٠١٥/٧/١١	٢٤	٣,١٧	١٢,٠٠	٣,٣٦	٦,٥٩	٨,٣١
الأحد	٢٠١٥/٧/١٢	٢٥	٣,١٨	١٢,٠٠	٣,٣٧	٦,٥٩	٨,٣٠
الاثنين	٢٠١٥/٧/١٣	٢٦	٣,١٩	١٢,٠١	٣,٣٧	٦,٥٩	٨,٣٠
الثلاثاء	٢٠١٥/٧/١٤	٢٧	٣,٢٠	١٢,٠١	٣,٣٧	٦,٥٨	٨,٢٩
الأربعاء	٢٠١٥/٧/١٥	٢٨	٣,٢٠	١٢,٠١	٣,٣٧	٦,٥٨	٨,٢٩
الخميس	٢٠١٥/٧/١٦	٢٩	٣,٢١	١٢,٠١	٣,٣٧	٦,٥٨	٨,٢٩

أسرة تحرير مجلة التوحيد تهنئ الأمة الإسلامية عامة
وفروع أنصار السنة خاصة بحلول شهر رمضان المبارك